الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l’enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues
Département langue et lettre arabe

الرقم:..... N° :.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــر

(تخصص تحليل خطاب)

# البطل في رواية "دمية النار" لبشير مفتي

مقدمة من قبل:
سليماني نوال

تاريخ المناقشة : 22 جوان 2017

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ.ليلى زغدودي | رئيسا | أستاذ مساعد ب | جامعة08ماي1945قالمة |
| أ.بشرى الشمالي | مشرفا و مقررا | أستاذ مساعد أ | جامعة08ماي1945قالمة |
| أ.حنان بن قيراط | ممتحنا | أستاذ مساعد أ | جامعة08ماي1945قالمة |

السنة: 2017

# شكر وعرفان:

شكرا أولا لله عز وجل خالق هذا الكون، الذي أعاننا بقدرته، ووفقنا وأعطانا القوة على إتمام هذا العمل العلمي، فالحمد والشكر لله رب العالمين.

شكرًا جزيلا للأستاذة المشرفة " بشرى شمالي" على إرشادها وتعاونها معنا، وتوجيهها لنا، ونشكرها على نصائحها القيمة التي كانت السبب الأول والأخير في نجاح هذا المجهود العلمي، كما نشكر أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة على تكبد عناء قراءة هذا البحث العلمي، دون أن ننسى أساتذتنا الكرام الذين نحترمهم كثيرًا راضين من الله عز وجل أن يوصلنا الدرجة من العلم التي هم عليها.

**إهداء:**

بسم العلي القدير الذي سما وعلا وجلا جلاله، ووجب شكره وحمده على نعمة نجاحنا، وأعظمها رضوانه سبحانه وتعالى، إلى أسوتنا في الحياة وقدوتنا نبيّنا وحبيبنا محمد – صلى الله عليه وسلم –.

إلى نبع الحنان ودفئ الأمان وسكينة الاطمئنان

إلى والدي الكريمين:

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى إنسان في الوجود أمي الحبيبة " نزيهة".

إلى الذي أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز إلى من صبر وتكبد المشاق واحتمل صعاب الدنيا، إلى من أفنى عمره ليراني أتقلد هذه الدرجات من العلم لأحيا حياة أفضل أبي الغالي " أحمد".

إلى الروح التي سكنت روحي زوجي العزيز "حسان" الذي كان مصدر سند لي حفظه الله وأدامه إلى جانبي.

إلى أخوة الفؤاد والروح: زهرة، حفيظ، بسمة، عبير.

إلى ابنة أختي الكتكوتة "فرح".

# مقدمة

**مقدمة**

تعدُّ الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي جسدت لنا الواقع بكل مجرياته وحيثياته المختلفة، فهي تقوم على عدة ركائز أساسية كالزمان، والمكان، والشخصية، وهذه الأخيرة تمثل أهم عناصر العمل الروائي، وخاصة البطل باعتباره الشخصية التي تلعب دورًا رئيساً في النص الروائي؛ لذلك كان الهدف المرجو من الدراسة تتبع مسار البطل في الرواية من خلال تحولاته المختلفة التي تبرز لنا جانبه الإشكالي، حيث يظهر ذلك بشكل واضح في أفكاره وتطلعاته وعلاقاته بمن حوله، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال رواية "دمية النار لبشير مفتي"، للوصول إلى تصور متكامل يسمح بتحديد خصائصه والوقوف على حقيقة إشكاليته، لاسيما وقد تعددت الآراء النقدية حوله، فجاء موضوع بحثنا موسوما بـ: " البطل في رواية "دمية النار" لبشير مفتي" .

حيث يتضح لنا بعد قراءة أولية لهذه الرواية أن شخصية البطل كانت مهيمنة على النص الروائي، لذلك جاءت التساؤلات حول هذا النوع من الأبطال كالآتي:

-من يكون البطل الإشكالي في هذه الرواية؟ وأين يظهر أن هذا البطل إشكالي؟

- ولقد كانت إشكالية البطل من بين القضايا التي ارتبطت بتطوير شكل الرواية، ومن هذا المنطلق انصب اهتمامنا على تجربة إبداعية ذاع صيتها في الساحة الأدبية العربية والجزائرية على وجه الخصوص، وهي تجربة الروائي الجزائري " بشير مفتي" في رواية "دمية

النار"، على أن هذه الدراسة سوف تعنى بدراسة البطل الإشكالي في هذه الرواية، وذلك استكمالًا لبعض جهود الباحثين الذين تناولو هذه المدونة ولكن من جوانب أخرى كالسرد والوصف...الخ.

– وكان اختيارنا للفن الروائي مجالا لهذه الدراسة، يرجع إلى كون الرواية مرشحة لأن تكون أكثر الأجناس الأدبية تعبيرًا عن الإنسان بكل همومه أما إختيارنا للرواية الجزائرية تحديدًا إيمانا منا بضرورة الخوض في مدونة جزائرية لم يسبق أن نُظر إليها من جانب البطل الإشكالي.

– أما تقسيمنا للبحث فكان كالآتي:

مقدمة، فصلين، وخاتمة، حيث تناولنا في الفصل الأول الذي عنوناه ب: البطل في الأدب، وتناولنا فيه تعريف البطل لغةً واصطلاحًا، تصنيف البطل ( في الأساطير، الملاحم، السيّر الشعبية، الرواية)، دراسة البطل ( عند فلاديمير بروب، عند غريماس، عند ميخائيل باختين) أما الفصل الثاني فقد عنوناه بـ: البطل الإشكالي في رواية "دمية النار"، حيث تناولنا فيه: رضا شاوش بطلا إشكاليًا، علاقته بالمكان، علاقته ببقية الشخصيات، كلامه وأفكاره، وخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

– وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع التي رأينا أنها تخدم الموضوع أهمها:

– مقدمات في سوسيولوجية الرواية للوسيان غولدمان.

– البطل المعاصر في الرواية المصرية لأحمد إبراهيم الهواري.

– مورفولوجيا القصة لفلاديمير بروب

– شعرية دوستويفسكي لمخائيل باختين

وكانت دراستنا وصفية تحليلية ارتأينا أنها الأنسب لتحليل شخصية البطل الإشكالي والتعمق أكثر في خبايا نفسيته الباطنية.

وكأي بحث علمي أكاديمي واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل في بحثنا تمثلت في:

– صعوبة إيجاد المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع .

– ضيق الوقت، رغم ذلك حاولنا أن نلم بجوانب الموضوع على قدر المستطاع.

وفي الأخير أوجّه الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة "بشرى الشمالي" على قبول إشرافها على هذا البحث، كما أشكرها على نصائحها وتوجيهاتها القيمة، ولا أنسى أن أشكر أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث والله ولي التوفيق.

# فصل أول:

# البطل في الأدب

**تمهيد:**

تمثل البطولة مجموع القيم والمثل الرفيعة التي ترددت في حياة البشر منذ القديم والسمة الغالبة على طبائعهم وسلوكياتهم، معنى ذلك أن البطولة ظاهرة إنسانية ومفهوم حاضر لدى كل الشعوب، فهي تشكل طليعة المفاهيم التي تبدأ بالتغلغل في عقل الإنسان منذ طفولته، من خلال قراءاته الأولى لكتب الحكايات، أو حتى قدرته على فهم معانيها وهو يسمعها من ذويه يتلونها عليه قبل النوم. .

ومهما تقلب مفهوم البطولة في عقل الإنسان عندما يكبر، فإنه يبقي على جوهره التربوي من خلال مجموعة صفات حميدة أبرزها درء اليأس ما أمكن أمام الصعاب، والإيثار واجتراح الأمجاد والبطولات. .

و يوجد في حياة كل فرد ومجتمع بطل أو أكثر، يصور القدرة البشرية في ذروتها. إنه البارز والمميز وهو أيضا قيمة أخلاقية ومعنوية ومثل أعلى، كما أنه مصدر زهو المجتمع، ولذلك حظي بمكانة كبيرة في الممارسات الاجتماعية والدينية في كل الحضارات، ومن هنا تبدأ فكرة البطل اجتماعيا وسياسيا وكذلك دينيا، ويعني ذلك أن البطل لابد أن يأخذ بيد مجتمعه لينظمه ويقوده في الحروب إلى النصر، معنى ذلك أن صفة البطولة تجعل الإنسان متميزا ومتفردا عن غيره من البشر، وهذا ما يخول له أن يكون قائد وسيد مجتمعه. وقد اهتم الأدب بالبطل واحتفى به، حيث يظهر ذلك جليا في جميع النصوص الأدبية منذ القديم– الأساطير والملاحم والحكايات الشعبية–، إلى اليوم – الرواية– فجميعها أولت

اهتماما كبيرا بشخصية البطل دون غيره من الشخصيات الموجودة داخل العمل الأدبي " فكل ما يروى من حكايات الأبطال موجود في ذاكرة البطل تاريخيا واجتماعيا وفكريا من الشخصيات الموجودة داخل العمل الأدبي " فكل ما يروى من حكايات الأبطال موجود في ذاكرة البطل تاريخيا واجتماعيا وفكريا، فمن خلال الذاكرة تنتظم الحكايات، بمعنى أن كل شيء خطَ في نسيج الحكايات هو من صنع ذاكرة الرواة/ الأبطال، فالبطولة من هذا المنطلق تتجه اتجاها فرديا يبحث على إمكانية تأسيس علاقات بالمجتمع وبالأخرين"[1] ففكرة البطل – إذا– أساسية لإقامة نوع من التوازن في حياة الأفراد والجماعات، فهو حاجة اجتماعية وثقافية. وما يؤكد ذلك هو أن الثقافات التي يشحّ واقعها بالأبطال الحقيقيين إلى اختراعهم جملة وتفصيلا، وعليه فوظيفة البطل واحدة. وهي ملء فراغ لا يمكن لغيره أن يملأه في ثقافة المجتمع، أي مجتمع، ونظرته إلى نفسه.

1–المصطفى مويقن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دارالحوار، اللاذقية – سورية، ط1، 2005، ص 255–256

## 1-تعريف البطل:

### أ-لغةً:

يعتبر مفهوم البطل من أبرز المفاهيم الأدبية، فقد كان من أهم العناصر التي بنيت عليها الأساطير والملاحم والحكايات الشعبية، و ظل البطل محتفظا بالصورة نفسها في كل هذه النصوص، فهو ذلك الشخص القوي الشجاع، الخارق بأفعاله، ولا يبتعد المعنى اللغوي المفهوم البطل عن هذا المدلول فهو" البطل الشجاع و رجل بَطلَ بين البطالة و البطولة: شجاع تبطُل جراحاته فلا يكترث لها ولا تبْطُل نجادته، وقيل: إنما سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجُها، وقيل: سمي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر من قوم أبطال"[1]

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن البطولة سمة الأشخاص الشجعان والأقوياء فقط دون سواهم من البشر، وهذا ما يجعل من البطل شخصًا مميزًا ونموذجًا يحتذى به في الأخلاق والشهامة والبسالة.

### ب- اصطلاحًا:

تعددت المفاهيم الاصطلاحية واختلفت من كاتب لآخر، ومن بينها ما ورد في معجم " المصطلحات العربية في اللغة الأدب" ،إذ هو:" ذلك الشخص الذي يلعب دورًا رئيسًا في

[1]- ابن منظور، معجم لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص56.

القصة أو المسرحية، و تنطوي نفسه على صفات وقوى يتعاطف معها القراء أو النظارة دون غيره من الشخصيات. وقد يكون صراع الرواية أو المسرحية بين هذه الشخصية و شخصية أخرى تتسم بصفات ينفر منها القراء أو النظارة، أو يثور الصراع داخل نفس البطل أو يدور بينه وبين الأقدار كما هي الحال في المأساة اليونانية".[1] فالبطل بهذا المعنى لا يعيش منفصلا عن احساساتنا و تقديرنا له، وهو من منظور اجتماعي إنسان يستحق كل التقدير و كل الاحترام لقوة شخصيته وطباعه و عبقريته. .

كما يعرفه أيضا سعيد علوش في معجمه بقوله: " البطل يساوي الفكرة، و يعني سرديا البطل الذي يروي قصة، و يمكن للبطل أن يكون هو السارد، كما يمكن لهذا الأخير أن يكون هو الكاتب".[2] فإذا كان البطل هو السارد فإن الحكاية تكون بلسانه هو بالذات و ليس بلسان المؤلف، أما إذا كان البطل هو الكاتب فإن القصة تكون عبارة عن سيرة ذاتية لذلك المؤلف، لكن باسم مستعار للمؤلف، وليس باسمه الحقيقي، وذلك من أجل المحافظة على بعض الخصوصية لحياته الشخصية.

أما بالنسبة للبطل المزيف فهو:" الشخصية الرئيسية لقصة تمثل بطلا مجردا من صفات البطولة، و يتميز عادة بدناءة النفس والجبن وعدم تقيُّده بالمثل العليا، عن وعي أو غير

[1]– مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت– لبنان، ط2، 1984، ص78

[2]– سعيد علوش، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص 50.

وعي وهذه الشخصية أصبحت شائعة في الأدب القصصي بفرنسا وانجلترا بعد الحرب العالمية الثانية وهذه الشخصية يراد بها أن تكون رمزا لأساليب النجاح في العالم الحديث".[1]

ويظهر هذا النوع من الأبطال بكثرة في الرواية، وهو بهذه المواصفات يكون عكس بطل أسلافه في الأساطير والملاحم، فهو بطل تجرد من جميع صفات البطولة، فأصبح بلا أخلاق ولا قيم، ولا هدف يسعى إليه أو يعيش من أجله معنى ذلك أنه إنسان سلبي داخل المجتمع لا معنى لوجوده بل إن انعدامه أفضل من وجوده المدمر والمهدم.

## 2- **تصنيف البطل:**

عمد المخيال الأدبي فصيحا و عاميا على نسج مجموعة من الحكايات و التصورات حول البطل، فكانت البداية مع الأساطير، ثم الملاحم، الحكايات الشعبية وصولا إلى الرواية كنوع أدبي حديث، حيث لا توجد هناك فروق كبيرة في تمظهرات البطل في النصوص الأدبية وخاصة القديمة منها (الأساطير، الملاحم...) على عكس الأنواع الأدبية الحديثة، و على رأسها الرواية فصورة البطل فيها كانت مختلفة عن الصورة التقليدية، وتتجلى تمظهرات البطل في هذه الأنواع الأدبية كالآتي:

[1]-المرجع السابق، ص78.

**أ- البطل في الأساطير:**

كان أول ظهور للبطل في الأساطير،حيث ارتبط بالآلهة إذ نجده يتعامل مع كائنات غريبة هي مزيج من الإنسانية والحيوانية والألوهية في وقت واحد، وكان هذا المزيج مدعاة لخلق إيمان بقدرة البطل كفرد مختلف عن الجماعة اختلافا يؤهله للإتيان بالخارق في صراعه، والاعتقاد بوجود قوى خفية تحركه" وخاصة في عهود الانسانية الأولى، حتى ليطلق على بعض فتراتها فترة عبادة الأبطال، حيث كانوا يتراءون لمن حولهم رموزا لقوى خفية غيبية مجهولة، أو بعبارة أخرى رموزا لأشياء إلهية مقدسة، بل كأنما الآلهة هي التي أنجبتهم لحماية من حولهم بما يأتون به من معجزات القوة و الشجاعة، وهي معجزات دفعت الناس إلى عبادتهم أحيانا كأنهم حقا آلهة بيدهم حياتهم وكل ما يحفظها عليهم من أسباب الرزق والبقاء".[1] أي أن البطل الأسطوري يصبح كالإله يقوم بما يقوم به الإله من معجزات و خوارق تبهر الناس، كالتحكم في حياة البشر ورزقهم وكل ما يجري من حولهم، فأخذ الناس يعبدون ويقدسون الأبطال كما يعبدون الآلهة، وبذلك فإن البطل يصبح في مرتبة واحدة مع الإله.

وهذه البطولة التي أفرزت الخارق في كل عصر من العصور، بدءًا من عهود ما قبل الميلاد، جمعت إلى جانب القدرة الخارقة، أي البطولة الحربية، بطولة نفسية لـ" تمتزج هذه

[1]- شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص9.

البطولة النفسية وأختها الحربية عند القدماء ببطولة خلقية أسبغت عليهم القوة إزاء غرائزهم".[1] فامتزاج هاتين البطولتين الحربية والنفسية تزيد من قوة البطل، وتجعله أكثر شجاعة وعبقرية، وتميزًا عن غيره من البشر. إلا أن هذا لم يمنع من وجود أبطال خرجوا عن تلك القيم النفسية، ما جعل الأدب القديم السابق للمسيحية، كما يورد محمود السمرة في كتابه" في النقد الأدبي" يختار أبطالاً تحل بهم ضريبة القدر ونظرًا لسوء مسلكهم وكوسيلة لتطهير نفوسهم، ومثل هذا البطل شاع في الأدب الاسباني، وفي الأشعار الإيطالية مثل "أورلندو" وكذلك دومكيشوت.[2] وقد سجلت تلك القيم، بصورتيها الحربية والنفسية، في آداب الأمم المختلفة، بصورة أظهرت تمشي ذلك المفهوم مع تطور المجتمعات الانسانية واختلاف نظرتها إلى السلوك البشري، وهو اختلاف انسجم مع مراحل تطورها وهي تنتقل بحياتها من البساطة إلى التعقيد ومن الفردية إلى الجماعية.

كانت ولادة البطل الأسطوري غريبة تحكمها قوى غيبية تمثلت في الآلهة وأنصاف الآلهة لأن" أبطال الأساطير أبطال ذوو صفات إلهية، إما آلهة أو أنصاف آلهة تأتي ولادتهم نتيجة لعلاقة غير مشروعة بين إله و ابنته أو أخته، أو من أم بشرية يغتصبها إله متنكر، على الأغلب، في صورة حيوان. وتأتي الولادة على نحو غير طبيعي كأن ينبثق البطل من جسد الإله أو فخذه كولادة "أثينا" من رأس "زيوس" و"دينيوس" من فخذه، وتلك الألوهية تكسبهم قوة خارقة تجعلهم يخوضون صراعا يكلل بانتصارهم، على الرغم مما تعرضوا له من تشرد في

[1]– المرجع السابق، ص14.

[2]– ينظر: محمود السمرة، في النقد الأدبي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1974، ص39.

بـدايات حيـاتهم، إمـا بسـبب حلـم يـراه الإلـه الأب، أو خـوف الأم مـن الافتضـاح".[1] مما تقدم يتضح لنا أن أبطال الأساطير يولدون بطريقة عجيبة تكون نتيجة لعلاقة غير شرعية بين إله وبشر، أو تكون الولادة من أحد أعضاء جسد الإله، وبذلك ينشأ البطل مكتسبا صفة الألوهية التي تأهله لامتلاك قوة خارقة يستطيع من خلالها التغلب على أعداءه. فالبطل بذلك " يخضع، بشكل نموذجي، للمصير الذي تقرر له الآلهة أو تعرض عليه الواجبات، فما يجمع بين أنتيكون وأخيل وهاملت هو كونهم يشتركون في صفة الثبات L'invariabilité. وإذا استثنينا حالات الضعف النادرة التي تنتابهم فإنهم يسيرون باتجاه الانسان الخارق".[2] وبذلك يكون البطل تحت سيطرة الآلهة تسيِّره تحت أهدافها، ورغباتها فيكون الأبطال بذلك مسيرون لا مخيرون ولا حرية لديهم بل يعيشون لخدمة الآلهة لما لهذه الأخيرة من فضل كبير في تميز هؤلاء الأبطال هن غيرهم من بقية البشر.

ما يلاحظ على أبطال الأساطير أنهم مزيج بين الآلهة والبشر، وهذه هي سمة التفرد لديهم، "ومثل ذلك المزج بين الآلهة والأبطال وجعلهم في رتبة واحدة كان عندما نظر الناس إلى ملوكهم فوجدوهم يتصفون بصفات نادرة جعلتهم يقتربون من تلك الآلهة التي يعبدون، وقد كان ذلك في فترة سحيقة، يحاول شوقي ضيف تحديدها بفترة ما قبل القرن الخامس عشر

[1]– ينظر: نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص26

[2]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص212.

قبل الميلاد".[1] وكان لتلك الصور المثالية التي تولدت من تعالق المخلوق بالخالق دور كبير في تقديس الأبطال وجعلهم في مصاف الآلهة.

**ب- البطل في الملاحم:**

إن بطل الملاحم – حسب معتقدات الديانات الوثنية- قد يكون نصف إله، أي متولدا من إله وبشر، طبقا لما يؤمنون به من خرافات، حيث يكون هذا البطل شخصا جليلا ذا مكانة كبيرة بين أبناء وطنه، أو في العالم أجمع، لأن أبطال الملاحم هم أبطال نبلاء أي أصلهم ملوك وأمراء فمثلا " حتى راعي خنازير أو دينيوسيومايوس الذي كان الفينيقيون قد اختطفوه منذ طفولته وبيع كعبد ثبت أنه نبيل بالمولد في النهاية".[2]

والبطل الملحمي بطل قومي همه هم قومي وطني فيسعى بذلك دائما إلى استعمال كل قواه الجسدية والذهنية لاستعادة وطنه وأرضه من أيدي المحتل الظالم مثل ما فعل الأبطال الطرواديون المدافعون عن وطنهم ضد الغزو الإغريقي لذلك " فبطولة الملحمة كانت بطولة حب و حرب، يغلب عليها طابع الصراع مع الغير، إلا أن نفس الانسان قد يكون محورها في بعض الأحيان"[3]، لكن الثابت أن الملحمة الإغريقية " تمجد بطلا منسجما وثابتا دون أن يكون كاملا، والبطل ( وهو في هذا يختلف كليًا عن الشخصية الروائية) لا يتغير فهو يبقى

[1]- شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي.

[2]- أحمد عثمان، في الشعر الإغريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1978،ص48.

[3]- ينظر: ألان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ت: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص7.

بثبات في مستوى مثالي واحد"[1] أي أن البطل الملحمي يكوم دائمًا شخصا نبيلا وشجاعا، وهذه صفات ثابتة فيه لا تتغير فهو يكون نقيض لبطل الرواية الذي يتغير باستمرار.

كما يتسم البطل الملحمي بالشجاعة الفائقة، لتكون خارقة في كثير من الأحيان، فضلا عن مشاركة الآلهة و الملائكة و الشياطين فيها.

وعلى وجه العموم، فالبطل الملحمي يقوم برحلة يلقى فيها خصومًا يحاولون إنزال الهزيمة به، ليعود في نهاية المطاف إلى بلاده، وقد تغير فلم يعد كما كان، وهو في كل ذلك يعكس الملامح القومية والخلقية، التي تميز أمته، و يأتي من الأعمال ما يميز أهمية قصوى لتلك الأمة، ومثال ذلك ما حدث مع "أخيليوس" بطل الإلياذة لهوميروس الذي لحق بجيشه الإغريقي وهزم الطروادبين شر هزيمة.

مما تقدم يتبين لنا أن البطل الملحمي شخص خارق وشجاع بكل معنى الكلمة، فهو قادر على إنجاز ما لا يستطيع أي كان إنجازه. إنه الشخص المستعد لمواجهة الصعاب حتى حدوج التضحية بالنفس من أجل مصالح مجتمعه، أو من أجل وطنه، أو من أجل الدفاع عن قيمه و معتقداته، التي غالبا ما تكون منحازة إلى مصالح غالبية الناس من حوله، فينظر إليه هؤلاء على أنه حاميهم و المدافع عنهم ومنقذهم.

[1]– مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الادبية، ت: طاهر حجاز، دار طلاس، د.ط، 1985، ص145.

**ج- البطل في السير الشعبية:**

السير الشعبية ظاهرة انسانية، لا تخص شعبا بعينه، ولا بلدًا دون غيره، إلا أنه هناك من يقول إن العرب لم يعرفوا السير الشعبية وهذا كلام خاطئ، بل عرفوا السير الشعبية لكنهم لم يُدوِنوها، لأنهم انشغلوا بحفظ وتدوين القرآن وذلك خوفا عليه من الضياع، وهذه السير الشعبية تناولت حلقة مهمة من حلقات الأدب العربي، وهي البطل وكيفية ولادته، وذلك قصد التعرف على القوانين المحددة لسمات هذا البطل " لأن مواليد البطل هي المقدمة الأولى للسيرة، تبنى عليه أحداثها وتكشف عن الدور الذي سيلعبه البطل، أما لماذا يتكشف دور البطل هنا فذلك لأن جمهور السيرة مساهم في عملية خلقها. فهو متابع للرواية ومتحكم فيه: يتابع الراوي في آدائه للنص، وفي الوقت نفسه يتصور ما يمكن لأن تدور عليه أحداث النص، وتصرف الشخصية، والراوي يحاول أن يتفهم رغبات سامعيه وتصوراتهم"[1]. يتضح لنا هنا أن البطل هو الركيزة الأساسية للسيرة، ودعامتها الأولى وعليه تبنى أحداثها، وهذا الدور الذي يقوم به البطل يجعل من جمهور السيرة مشاركا في عملية الخلق والابداع.

ويرتبط ميلاد جميع الأبطال بالنبوءة " لا يوجد بطل لسيرة من السير لم يرتبط ميلاده بالنبوءة فهي ترتبط بوجوده الفعلي، تحدد له المصير المعد له والدور الذي سيلعبه في حياته، وهو دور عليه أن يلعبه، وليس في مقدوره أو مقدور أي انسان أن يعوق هذه النبوءة عن

[1]- أحمد شمس الدين الحجاجي، مولد البطل في السيرة الشعبية، دار الهلال، د.ط، 1991، ص44-45.

التحقيق"[1]. فالنبوءة ضرورية وشرط لابد منه عند ميلاد كل بطل فهي التي تقرر له مصيره وما سيلقاه في كل مرحلة من مراحل حياته.

كما تلعب النبوءة دورا كبيرا في إخراج البطل من حيز الانسان العادي إلى حيز الانسان الاسطوري، أي من الواقعي إلى الأسطوري. والنبوءة هي الاخبار بالمستقبل قبل وقوعه[2]. فالنبوءة هي أهم ما يميز البطل عن غيره من الأفراد العاديين، وهي السمة التي من خلالها يقوم بالتصدي لأي مكروه يمكن أن يصيبه في المستقبل.

أما الحكاية الشعبية فلها فلسفتها في اختيار أبطالها، فكانوا، وإن اكتملت لديهم صفات البطولة النفسية، يعانون عيوبا خلقية، فكان منهم الأعمى والأبكم، وتتمثل تلك الفلسفة في " مقولة شعبية واسعة الانتشار، تلك المقولة التي مؤادهاأن الانسان الكامل لديه من الدوافع الخاصة ما يؤهله أن يكون بطلا"[3] فالإنسان الناقص تظل حاجته أكبر لبطولة تظهره، ما يخلق لديه قدرات خارقة تضعه في مصاف الأبطال.

يشبه بطل السيرة الشعبية – إلى حد كبير – البطل الأسطوري حيث " تفرد بطل السيرة بمواجهته للقوى الغيبية، شأنه في ذلك شأن البطل الأسطوري، والأدب العربي، الرسمي منه والشعبي، حفل بمثل هذه الصورة للبطل وفق المفهوم التقليدي، وعودة سريعة إلى سير العرب

[1]– المرجع السابق، ص48.

[2]– المرجع نفسه، ص48.

[3]– ينظر: نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص21–22.

وأيامهم كافية لأن تضع القارئ في صورة هذا الحضور[1]. ولكن ذلك لا يلغي ملامح البطل الانسانية ولا يعمل على تأهيله، وقد تأثرت تلك الملامح، في السيرة العربية، سيرة "الأميرة ذات الهمة" مثلا، بما جاء به الإسلام نفسه، ففي هذه السيرة يظهر "الأمير عبد الوهاب أسود اللون، ومع ذلك فهو بطل الأبطال، ويكاد يقترب من منزلة الأولياء، حتى أن كثيرًا ممنحوله كانوا يتوسلون له"[2]. كما نجد عنترة بن شداد أيضا بطل الأبطال في الحروب رغم سواد بشرته، وفي ذلك إلغاء لأهمية اللون كقيمة في اختيار البطل، بل إن الاختيار يكون على أساس القوة والشجاعة والبسالة.

إلا أن الحكاية الشعبية لم تختر بطلا شريرًا، لأنه يتنافى مع قيم الخير التي يسعى الشعب أو الحكاية الشعبية إلى تحقيقها، لا سيما والبطل الشعبي يعبر "عن صراع الخير والشر، وليس بطلا أسطوريا"[3]. وهكذا يتضح ما يراه، القارئ من اختلاف ظاهري يتحدد بكون الأسطوري من الآلهة وأشباه الآلهة، بينما الشعبي فهو انسان بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مهما كانت قدرته، و انتشاره في نهاية الأمر يجعله يختلف عن البطل التراجيدي الذي تكون الهزيمة من نصابه في نهاية المطاف.

---

[1]– ينظر: حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الجرب العالمية الأولى حتى عام 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2001، ص18.

[2]– هاني العمد، ملامح الشخصية العربية في سيرة الأميرةذات الهمة، الجامعة الأردنية، عمان –الأردن، د.ط، 1988، ص149–153.

[3]– شكري غالي، أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ط، 1970،ص82.

**د- البطل في الرواية:**

يحتل البطل موقعا هاما في الرواية على اعتبار أنه يمثل الشخصية الرئيسية، التي تدور حولها أحداث الرواية منذ بدايتها إلى نهايتها، فهو المحرك الأساسي لسير الأحداث، داخل النص الروائي، لأن الحكاية هي حكاية ذلك البطل حيث " تتأتى للشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية، من اهتمام الرواية بتصوير المجتمع الانساني الذي يشكل فيه الشخص العمود الفقري، والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود"[1].

تقدم سيرة البطل في الرواية الحديثة عن طريق بناء فني يعتمد تسلسل الأحداث في الزمن، متأثرة بناء الملحمة الفني الذي يركز على الحدث، على اعتبار أن الرواية، كما يعدها النقاد، البنت الشرعية للملحمة[2]. معنى ذلك أن مسار الرواية الفني لم يخرج عن مسار الملحمة فأصبحت الرواية بذلك صورة الحاضر بفن تقليدي.

يعتبر العديد من الباحثين الرواية سليلة الملحمة حيث يرى "هيغل" بأن الرواية هي عبارة عن '' ملحمة برجوازية'' إنما تطرح في آن واحد المسألة الجمالية والتاريخية: فهو يعتبر الرواية شكلا فنيا بديلا للملحمة في إطار التطور البرجوازي، ذلك أن الرواية تنطوي على الخصائص الجمالية العامة للقصة الملحمية الكبيرة وللملحمة، من جهة، وتتأثر بكل التعديلات التي جاء بها العصر البرجوازي الذي هو من طبيعة أخرى مخالفة، من جهة

[1]- محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1999، ص160.

[2]- ينظر: ألان روب جربيه، نحو رواية جديدة، ص7-8.

ثانية"[1]. إلا أنهما يختلفان في طبيعة البطل، حيث لم يعد البطل في الرواية مثلما كان عليه في الملحمة، فالبطل الملحمي كان خارقا وشجاعا وذلك بمساعدة الآلهة له، كما كان إيجابيا دائما يدعو إلى قيم الخير والانسانية، فهو لم يكن من عامة الناس بل كان شخصا نبيلا أي من سلالة الملوك والأمراء، وهو أيضا بطل قوميّ يسعى دائمًا إل الدفاع عن وطنه وأرضه ضد كل معتد غاصب، أما بطل الرواية فهو انسان عادي قد يكون من عامة الناس، وقد يكون سلبيًا كما قد يكون إيجابيا، وقد يكون مجرما أو قاتلا، كما قد يكون خيرا، إضافة إلى أنه يتسم بالروح الفردانية أي لا تهمه العلاقات الأسرية ولا المجتمع، ولا حتى وطنه، بل ما يهمه هو نفسه فقط ولا يكترث لمن حوله، إنما همه الوحيد أن يصل إلى طموحاته وأهدافه، وإن كان ذلك على حساب غيره.

أما البطل الإشكالي فيتمثل هذا النموذج من البطولة في المرحلة الوسطى بين مرحلة الواقعية التي أولت الاهتمام للفرد بعد أن حولته الرومانتيكية إلى بطل هامشي.وبين مرحلة الرواية الجديدة التي قد احتلت الآلة مركز الصدارة وراحت تدير الأشياء وتتحكم فيها، سحبت الانسان من العالم الروائي لتحل محله المكان بأشيائه. فالبطل الإشكالي ظهر في مرحلة أهملت الانسان و ضيعت قيمته ومكانته، فأصبح مجرد شيء كبقية الأشياء التي لا معنى لوجودها.

[1]– جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، تر: نزيه الشوفي، دمشق، د.ط، 1975، ص19.

ظهر الفرد في هذه المرحلة الوسطى وقد تبنى قيما ومثاليات لا يعترف بها الواقع بسلبيته ودونيته، فنشأ صراع بين حقيقتين، داخلية بات يتبناها هذا الفرد بمفرده وخارجية يمثلها الواقع. وفي ضوء هذا الصراع اتسمت حدود البطل الذي اصطلح على تسميته بالمعضل[1].

وقد نظر "لوكاتش" وتلميذه "غولدمان" إلى البطل الإشكالي على أنه شيطاني، مجنون أو مجرم[2]، أي أن البطل الإشكالي مخالف تمامًا لبطل أسلافه في الملاحم والأساطير القديمة، لذلك فهو يعيش على حدود الانتماء واللانتماء، على حدود الإيجابية والسلبية، فانتماؤه إلى قيم الخير و الانسانية يقابله لا انتماؤه إلى قيم مجتمعه المتخلف، متخذ بذلك "موقفا وسطا بين البطل الايجابي و البطل السلبي، فإذا كان موقف الرغبة في الاصلاح ينظمه في عداد الأبطال الايجابيين، فإن موقف الاكتفاء بالتأمل النظري وعدم المساهمة الفعلية في البناء ينظمه في عداد الأبطال السلبيين الذين يكتفون بمجرد النظر إلى "روما وهي تحترق"[3] .

أما البطل السلبي فهو" بطل العصر" الذي لا يمتلك لا قيمًا ولا ثقافة، يصعد من رحم الطبقات الفقيرة ويرغب في الوصول السريع، حتى لوكان ذلك الصعود على جثث الأبرياء، لينتهي مصيره للسقوط في مستنقع القذارة، وشعاره دوما "لا تفكر في الاصلاح"[4]. ويتميز

---

[1]– ينظر: اعتدال عثمان، البطل المعضل، مجلة فصول، مجلد2، ع2، 1982، ص92.

[2]– ينظر: لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ت: بدر الدين عرودكي، دار الحداد، سورية، 1993، ص5.

[3]– ينظر: محمد عزام، البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، د.ط، ص11.

[4]– المرجع نفسه، ص12.

باتخاذه موقفا حياديا من الأحداث، فلا يشارك في صياغتها، ولا يعمل على تغييرها، وهو بذلك يشبه البطل الاشكالي أو المعضل الذي تشكل السلبية _نتيجة تبنيه قيما مغايرة لما يسود مجتمعه_ حركة تالية في دورة حياته، إلا أن سلبية البطل السلبي نابعة من ذاته، تجعله مترددا وضعيفا، نهيا للإحباط، خاضعا للعادات والتقاليد، سهل الانقياد للآخرين، فيتقبل آراءهم دون تدقيق، ما يؤدي به في نهاية الأمر إلى العزلة، مبررًا فشله بسوء الحظ، مستعيضًا بالأحلام والآمال عن الواقع واخفاقاته[1]، ويظهر هذا البطل، في تصنيف النقاد، في صورة غير المبالي الذي يقف ضد حركة التغيير في المجتمع الجديد ويقاومها لوقف تطورها، والفاشل الذي أسهمت إرادته بقسط كبير في صنع مصيره بمعنى أن مقدماته أدت إلى نتائجه[2]. فالبطل السلبي بذلك ضحية نفسه وليس المجتمع، والعادات والتقاليد فهو بذلك يقرر مصيره بنفسه ولا دخل للآخرين بذلك.

## 3- دراسة البطل:

تناول كتاب القصة المعاصرين مسألة البطل في القصة، ورأوا أن البطل هو محورها والأساس الذي تدور حوله الأحداث، ومن بين الكتاب الذين ركزوا على شخصية البطل نجد:

[1]- ينظر: محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، اتحاد الكتاب الفلسطيني، القدس، د. ط، 1997، ص52.

[2]- المرجع نفسه، ص53.

**أ- البطل عند فلاديمير بروب:**

يعتبر بروب الخرافة بمثابة مسندات، وفواعل، أي أنه يدرس الحكاية الشعبية دراسة نحوية ولسانية، فيركز على ما هو أساسي في الحكاية وهو البطل، فالبطل عنده يقوم بالعديد من الوظائف فهو مشارك في أحداث القصة منذ بدايتها وحت نهايتها، وهذا ما نجده في مورفولوجية الحكاية الخرافية حيث " تبدأ القصص في العادة بعرض الحالة البدئية إذ يتم فيها التعريف بالبطل ( كأن يكون جنديا على سبيل المثال) وذلك بذكر اسمه أو وصفه، وعلى الرغم من أن هذه الحالة لا تعد وظيفة إلا أنها تمثل عنصرًا مورفولوجيًا مهما"[1]. وسنقوم بعرض مجموعة من الوظائف يقوم بها البطل في الحكاية:

1. إبلاغ البطل بالمحظور مثلا: ابق مع أخيك ولا تخرج من البيت.
2. ومقلوب الحظر هو الأمر أو العرض: يصطحب أخاه الصغير إلى الغابة.
3. تستسلم الضحية للخديعة (يؤخذ البطل بأقوال المعتدي).
4. ويجيء رد فعل البطل على استعمال الأدوات السحرية.
5. البطل الباحث يوافق على التحرك أو يقرره.
6. يغادر البطل داره.
7. يخضع البطل للامتحان أو الاستجواب أو الهجوم.
8. رد فعل البطل على أفعال المانح المقبل.

[1]- فلاديمير بروب، مورفولوجية القصة، تر: عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص43.

9. توضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل.[1]

10. ينقل البطل أو يقاد أو يصطحب إلى المكان الذي توجد فيه ضالته.

11. يتواجد البطل والمعتدي في معركة.

12. يوسم البطل بعلامة.

13. ويعود البطل: ويكون ذلك بالطريقة نفسها التي يتم بها الوصول.

14. مطاردة البطل.

15. يصل البطل متنكرًا إلى داره.

16. يقوم البطل المزيف بإظهار مزاعم باطلة.

17. يكلف البطل بمهمة صعبة.

18. التعرف على البطل ويتم ذلك بعلامة أو ندبة.

19. افتضاح الشرير بطلا مزيفا كان أو معتديا.

20. يكتسب البطل مظهرًا جديدًا.

21. عقاب البطل المزيف أو المعتدي.

[1]- المرجع السابق، ص43-44-47-55-56.

22. يتزوج البطل ويرتقي سدة العرش.[1]

نستنتج مما سبق أن البطل داخل القصة حسب بروب وما يؤديه من وظائف يلعب دورًا كبيرا في سير الأحداث وتنظيمها وتسلسلها وترابطها كبنية واحدة لا فاصل بينها، ويمكن تلخيص هذه الوظائف في ما يلي:

يخرج البطل من المنزل فيلقي بالمانح الذي يقدم له الأداة أو المساعدة السحرية التي تسمح له بالحصول على الشيء المرغوب وتأتي بعد ذلك مرحلة العودة حيث يظهر الصراع الثنائي بين البطل وخصومه الذين يتابعونه ويضعون في طريقه العقبات، ويتمكن من اجتيازها ويؤدي المهمات التي تعرض عليه، وينجح في جميع الاختبارات، ويصل إلى منزله ويتم التعرف عليه فيتجلى في أحسن صورة وفي الأخير يكافأ ويتزوج ويعتلي العرش.

**ب- البطل عند غريماس:**

أطلق غريماس على البطل اسم العامل حيث " لم تكتسب البنية العاملية بعدها الاجرائي و المنهجي إلا مع غريماس الذي عمق مفاهيمها في العديد من كتبه السيميائية النظرية والتطبيقية، من خلال تطبيقها على مجموعة، سواء أكانت حكايات أم قصصًا أم روايات أم مشاريع سيميائية مختلفة، عامة أو خاصة."[2]معنى ذلك أن غريماس يعد أول من أدخل البنية

[1]- المرجع السابق، مورفولوجية القصة، ص56-81.

[2]- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص213.

العاملية أي البطل حيز التطبيق وكان ذلك في مجال السيميائيات من خلال مجموعة من الحكايات والقصص والروايات حيث " تتحدد البنية العاملية عند غريماس في ثلاثة محاور، وستة عوامل. وهذه المحاور هي: محور التواصل، ومحور الرغبة، ومحور الصراع. أما العوامل الستة فهي: المرسل والمرسل إليه، والذات والموضوع، والمساعد والمعاكس. والخطاطة التالية توضح محاور البنية العاملية:

محور التواصل: المرسل ⟵ المرسل إليه

محور الرغبة: الذات ⟵ الموضوع

محور الصراع: المساعد ⟵ المعاكس

أما خطاطة العوامل فهي كالآتي:

البطل ⟵ الموضوع

المرسل ⟵ المرسل إليه

المساعد ⟵ البطل المضاد"[1]

مما تقدم يتبين لنا أن عوامل ومحاور البنية العاملية جميعها تقريبا يظهر فيها البطل بشكل مكثف مما يعني أن غريماس استفاد بشكل كبير من منهجية فلاديمير بروب في تحليله للحكايات الشعبية، خاصة وأنه يركز على ما يقوم به البطل من وظائف داخل الحكاية، في

[1]– المرجع السابق، ص213.

حين انتقد كلود بريمون غريماس على منهجيته التحليلية التي لا تطبق إلا نموذج حكائي واحد معين.

**جـ- البطل عند باختين:**

درس "ميخائيل باختين" البطل من خلال أعمال "دوستويفسكي" وقدم نظرة جديدة مغايرة لهذا المفهوم، حيث يرى " أن البطل مهم بالنسبة إلى دوستويفسكي لا على اعتباره ظاهرة من ظواهر الواقع...، ولا على اعتباره هيئة محددة تتألف من ملامح أحادية الدلالة وموضوعية...، بل البطل يهم دوستويفسكي بوصفه وجهة نظر محددة عن العالم وعن نفسه هو بالذات، بوصفه موقفا فكريا، وتقويما يتخذه انسان اتجاه نفسه بالذات واتجاه الواقع الذي يحيطه."[1] أي أن البطل ينجز أفعالًا انطلاقًا من منظوره الخاص، وموقفه الأيديولوجي، فتأتي بذلك أفعال البطل منسجمة مع أيديولوجيته.

ركز "باختين" على البطل لأنه الشخصية البارزة في الرواية، والتي نستطيع من خلال حضورها المستمر ذي الأبعاد المختلفة، رسم مذهب أيديولوجي بعينه، فكل " مواصفات البطل الثابتة والموضوعية، حالته الاجتماعية، خصوصيته الفردية والاجتماعية، طباعه ملامحه الروحية وحتى مظهره الخارجي، باختصار كل ما يساعد المؤلف عادة على تكوين صورة قوية وواضحة عن البطل 'من يكون؟'كل ذلك يصبح عند "دوستويفسكي" موضوعا

[1]- ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكبتي، م: حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص65.

للتأمل عند البطل، مادة لوعيه الذاتي."[1] أي أن كل ما يخص البطل، قد يحمل بعدا في تشكيل التوجه الفكري.

إن وجهة النظر الخاصة بالبطل تجعل منه متميزًا ومتفردًا عن الآخرين من حوله " فكل بطل في الرواية أو كل مجموعة من الأبطال تشكل زاوية نظر خاصة ومخالفة لآراء الأبطال الآخرين ابتغاء خلق صراع أيديولوجي في الرواية."[2] فتلعب الشخصيات المتعددة أدوار هامة في إحداث الصراع الأيديولوجي داخل الرواية، لكن يتوجب إحضار صوت ثنائي على الأقل، كل صوت ممثل بشخصية على الأقل.

كما دعا "باختين" أيضا إلى ضرورة تبادل الشخصيات وجهات النظر حول بعضها البعض اقتداءً بما فعله دوستويفسكي في رواياته، فهو " لم يحتفظ لنفسه أبدا بأي معلومات جوهرية، وإن كان قد احتفظ بشيء، فقد احتفظ بذاك الحد الأدنى من المعلومات الضرورية ذات الطابع البراغماتيكي، والإخبارية الخاصة، والتي كانت ضرورية لسير القصة."[3] فذلك يزيد من حدة الصراع داخل الرواية، وينفي موقف الكاتب مما كتب.

وخلاصة ما ذهب إليه "باختين" هنا، أن الكاتب مجبر على عدم تقديم البطل من منظوره الخاص، وإنما من منظور البطل في حد ذاته، و أن شخصية البطل تكون حاملة

[1]– المرجع السابق، ص68.

[2]– حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د. ط، 1990، ص32.

[3]– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ص104.

للإيديولوجيا من خلال حالتها الاجتماعية وفكرها وفعلها وقولها ورغبتها واسمها ومظهرها الخارجي ...إلخ، فينسجم كل ذلك مع بعضه ليشكل مذهبا إيديولوجيا.

# فصل ثانٍ:

## البطل الإشكالي في رواية دمية النار

سنتطرق في هذا الفصل للحديث عن صورة البطل الإشكالي الذي تناولنا جانبه النظري سابقًا، والآن سنطبق على "رضا شاوش" بطل رواية "دمية النار" لبشير مفتي، وكيفية ظهوره على هذه الصورة من خلال كلامه وعلاقته مع المكان ومع بقية الشخصيات الموجودة في الرواية.

* ملخص رواية " دمية النار"[1] لبشير مفتي*:

– "دمية النار" هي حكاية رضا شاوش، شخص احترف البوح والاعتراف، ما ساعد على المرور بحالات شعورية انسانية مختلفة تمّس الكثيرين.

– يمر بطل هذه الرواية بتحولات غريبة في حياته منذ طفولته إلى أن أصبح رجلاً ناضجًا، وفي تحولاته تلك ندخل معه في اعترافاته الحميمية التي تجعلنا نتعاطف معه رغم ما كان يقدم عليه من وشاية، اغتصاب، قتل...إلخ.

[1]– بشير مفتي، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.

* بشير مفتي: صحفي وكاتب روائي جزائري، ولد عام 1969 بالجزائر العاصمة (الجزائر)، متخرج من كلية اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، عمل في الصحافة حيث كتب في نهاية ثمانينيات القرن العشرين في جريدة الحدث الجزائرية، كما أشرف على ملحق الأثر لجريدة الجزائر نيوز لمدة ثلاث سنوات، كما يعمل بالتلفزيون الجزائري مشرفا على حصص ثقافية كحصة مقامات.إلى جانب هذا، عمل مراسلا من الجزائر لجريدة الحياة اللندنية، و كاتب مقال بالملحق الثقافي لجريدة النهار اللبنانية و بالشروق الثقافية الجزائرية. و هو أحد المشرفين على منشورات الاختلاف بالجزائر. ومن أعماله الروائية نجد: "بخور السراب"، "أشجار القيامة"، " أرخبيل الذباب"، وأهمها رواية "دمية النار" التي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية للرواية عام 2012.

– تبدأ حكاية "رضا شاوش" من الحي الذي ولد فيه "حي بلوزداد" وعلاقته المتوترة والمضطربة مع والده منذ صغره، ويرجع سبب تلك العلاقة المشوهة لعمل والده في السجن، فكان يرى فيه ذلك السجان المعذب للناس، وخاصة قسوته مع أمه التي كان يضربها بلا رحمة. وحبُّه الغريب لرانية التي تكبره بسنوات، والتي كانت تحب غيره، هاذان هما الأمران اللذان كان لهما الأثر البالغ على حياته كلها لاحقًا.

فكان يراوده فضول كبير لمعرفة طبيعة عمل والده في السجن فهو يكره، ويرفض ذلك العمل و يمقته كثيرًا، وكان ذلك الكره يكبر معه إلى أن صار مراهقا فتدخل الفتاة "رانية" حياته يحبها بجنون، تأتي المفاجأة لاحقا بانتحار والده، وبعدها انتقامه من رانية على خيانته مع شخص آخر فيشي بها لشقيقها الذي يضربها، ويوقفها عن الدراسة، لكنه بعد ذلك يندم على فعلته تلك، ويحاول تصحيح خطئه. وهنا يدخل في دوامة مع نفسه، يدخل في حالة نفسية متأزمة. بعد ذلك يلتقي بزميله القديم "سعيد بن عزوز" الذي يمقته كثيرًا، كان سعيد يكره رضا ولم يعرف رضا سبب ذلك الكره حتى أخبره أخاه أن والده كان السبب وراء موت والد سعيد، فكان سعيد من فتح آفاقا جديدة لرضا بدخوله عضوا وخادما بجماعة نافذة في الحكم يعمل لصالحها، ويفعل ما يطلب منه من دون تردد فيتحول بذلك أيديولوجيا من شخص رافض لأن يكون خادما وعبدا لأحد، من شخص مثقف وواعي لقيمة الحرية إلى شخص شرير بلا قلب ورجل عصابة نافذة في البلاد، وكان صديقه عزوز وراء كل ذلك، ورغم رفض رضا لماضي والده إلا أنه اتبع نفس الطريق وأصبح دمية بيد الشياطين تحركها كيفما تشاء، ثم تأتي المفاجأة الكبرى حين تخبر

رانية رضا أن له ابن منها، رضا الذي كان يرفض إنجاب الأطفال، فقط لكي لا يجلب لهذا العالم مزيدا من المجرمين مثلما فعل والده.

فيشاء القدر وينجب طفلا من المرأة التي أحبها بجنون، ويكون ذلك الطفل إرهابيا يتخلى عن بيته ليقطن الجبل بدلا منه، فيقف ضد نظام البلاد ويتمرد عليه وهنا تدخل الجزائر في العشرية السوداء.

فالراوي أراد من خلال هذه الرواية أن ينقل لنا تلك المرحلة المتأزمة التي مرت بها الجزائر في الثمانينيات والتسعينيات من تدهور اقتصادي واجتماعي وثقافي وسياسي.

**1-رضا شاوش بطلاً إشكاليًا:**

يمثل رضا شاوش في رواية "دمية النار" بطلاً إشكاليًا، حيث يظهر هذا البطل على أنه شخصية متأزمة تعيش مأزقا مصيريا، يحمل البطل قيما أصلية كالحرية والعدالة والحب والتسامح، يحاول أن يغرسها في المجتمع الذي يعيش فيه إلاّ أنّه يصاب بالخيبة والفشل عندما يحتك بواقعه المنحط الذي تسوده القيم الكمية الزائفة والوساطة المادية التبادلية، ولم يستطع تغيير واقعه على الرغم من محاولاته الخاطئة التي كانت تصيب الأبرياء فقط دون أعداءه، حيث يقول رضا شاوش: " لم يعد يهني أن أكون وفيًا لأحد، إلا لنفسي... لقد ربطت وجودي

بأمور لن تتحقق شعرت أخيرا أنه لا معنى لها،... تركت كل شيء، وأنا أصدح بداخل نفسي حياتي أولى..."[1]

فرضا شاوش ليس سلبيا ولا إيجابيًا، إنما هو بطل متردد بين عالمي الذات والواقع أي بين نفسه والمحيط الذي يعيش فيه، فيعيش بذلك متمزقا في عالم فض، وبالتالي يفشل في تثبيت قيمه ومبادئه في ذلك العالم المنحط الذي يطبعه التشيؤ والاستلاب والتبادل الكمي، لذلك يصبح بحثه منحطا بدوره لا جدوى منه."[2]

وبالتالي تظهر صورة رضا شاوش كبطل إشكالي في هذه الرواية من خلال:

**أ- علاقته بالمكان:**

يشكل المكان أحد العناصر المكونة لبنية النص الروائي، وهو يشير إلى الإطار الذي تقع فيه الأحداث والمساحة التي تتحرك فيها الشخصيات الروائية، وقد اختلفت نظرة الروائيين، وطريقة تعاملهم مع المكان، ففي القرن التاسع عشر الذي أصبح فيه تحديد المكان من السمات التي ميزت الرواية، بالغ الروائيون في اهتمامهم به، فمالوا إلى تحديد العالم الحي الذي تعيش

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص95.

[2]- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 40.

فيه الشخصيات الروائية، وجسدوا المكان تجسيدا مفصَّلاً.[1] معنى ذلك أن المكان له أهمية كبيرة داخل الرواية، فهو الشيء الذي تحيا فيه الشخصيات، وبدونه فهي مجردة لا معنى لها.

في حين تعامل روائيو القرن العشرين معه بطريقة مختلفة لم يعد معها مجرد إطار للشخصيات، وإنما ظهر كمحور تتفاعل معه وفيه الشخصيات، مضيفة إليه سماتها الانسانية[2] أي أن المكان في القرن العشرين أصبح يتعامل معه كإنسان، فمثلا الشخصية تحّنُ للمكان (مثلا مكان الطفولة)، كما يحنُّ الحبيب لحبيبته أو الولد لأمّه أو المسافر لوطنه، كما قد يكون العكس من ذلك، قد تمقت الشخصية المكان وذلك لأسباب ذاتية ومثل ذلك التغير في طريقة التعامل مع المكان، كأحد المكونات لبنية النص، ليس إلا انعكاسا لتغير طبيعة احساس إنسان القرن العشرين بعامة والروائيين بخاصة بالحياة، وهو تغير جعل تعامل هؤلاء الروائيين مع الواقع يتخذ صورًا أخرى،[3] يغيب في إحداها المكان عن قصد، ويقتصر الروائي في تقديمه له على إشارة عابرة، في حين يحضر في أخرى، من خلال صور مبالغ فيها، بالتركيز على وصف تفاصيل ذلك المكان، حتى ليبدو" العالم المادي ينؤ بأشيائه وأمكنته على الأبطال، وعلى القراء

---

[1]– سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة – مصر،دط ،1984ص 79.

[2]– رفيق رضا صيداوي، النظرة الروائية في الحرب اللبنانية 1975–1995، دار الفارابي، بيروت– لبنان، دط،2003، ص 310.

[3]– حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000، ص 68.

أنفسهم، فيتجمد الأبطال و يصمتون في الغالب، وتصبح حركتهم داخل المكان لا معنى لها. حتى أن المحيط يصبح طاغيا على وجودهم."[1]

ومن خلال هاتين الطريقتين يظهر المكان عنصرا فاعلا ومؤثرًا، لا عنصرًا محايدًا وجوده كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث. يظهر المكان بصورة مكثفة داخل الرواية، لما له من علاقة ووطيدة ببطل الرواية، حيث كانت هناك أماكن كان البطل غير متصالح معها، أي أنه يحس بالغربة داخلها، وأخرى العكس من ذلك كانت له علاقة طيبة معها، لأنها تذكره بأشياء جميلة حدثت في حياته، بينما هناك أمكنة كان رضا شاوش متردد بين التصالح معها والشعور باللّا انتماء إليها ومن بين هذه الأمكنة نجد:

**1- الأماكن المتصالح معها:**

*حي بلوزداد: الذي يمثل مسقط رأس البطل، مكان الطفولة والذكريات الجميلة حيث يقول غاستون باشلار بأن المكان هو " المكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا."[2] فالطفولة تمثل أهم مرحلة في حياة الانسان، حيث كان رضا يحب الحي الذي ولد فيه كثيرًا، فهو بالنسبة له يمثل الذكرى الجميلة الوحيدة في حياته، يقول: " بقيت صورة حيّنا ناصعة في ذهني، وجميلة، وكنت أحب تلك الأزقة الضيقة بالرغم من خطرها ليلا، كنت أحب، وأنا صغير، أن أتمشى مع أخي

[1]- المرجع السابق، ص69.

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 6.

الكبير متشبثًا بيده حتى لا أضيع وأسقط، أو تلتهمني زحمة ذلك الحي الشعبي الكبير، لا أمل من النظر لقاعات السينما... وللأسواق الكثيرة."[1]

***مؤسسة طارق كادري:** تمثل أول مكان عمل فيه رضا شاوش بعد أن ترك الدراسة، وصار يتسكع في الشوارع ليلا نهارًا، ويرجع الفضل في ذلك العمل إلى صديقه عدنان، الذي أمّن له هذا العمل بعد أن درس في معهد تكوين خاص بالمحاسبة، يقول: " دخلت مؤسسة طارق كادري بفضل مساعدة صديقي عدنان، وبفضله هو دائما، درست في معهد تكوين خاص بالمحاسبة لمة ستة أشهر، وبعدها أمّن لي هذا العمل."[2]

* **مدينة عنابة:** أحب "رضا" هذا المكان ،وكان بالنسبة إليه أئمن مكان التجأ إليه خوفا من ضغوطات محقق الشرطة سعيد بن عزوز، حيث أنّه لم يرغب في العودة إلى المدينة التي ولد فيها، لأنّه رغب في الابتعاد عن كل ما يربطه بسعيد بن عزوز، كما أنّه أعجب بذلك المكان فلم يرغب في تركه، يقول في ذلك: " قضيت أسبوعي العنابي متنقلا بين ساحة الوسط وكورنيشها، متجولا بين أزقتها المفتوحة...، استلطفت مدينة عنابة، ووددت لو أمكث فيها مثلما فعل قبلي "رفيق"، هاربا من قتلة الأحلام وسجانيها."[3]

* **حي شوفاليه:** وهو الحي الجديد الذي انتقل رضا شاوش وعائلته للعيش فيه بعد وفاة والده، حيث كان هذا المكان يشعره بالأمان، لأنّه المكان الذي ينسيه تلك الأيام التي كان فيها أبوه

[1]- الرواية، ص 24-25.
[2]- الرواية، ص 54-55.
[3]- الرواية، ص 67-70.

يضرب أمه بعنف شديد وبوحشية فضيعة في بيتهم القديم بحي "بلوزداد"، وهو ما ترك بداخله جرح عميق لا يبرأ أبدًا، لذلك كان مرتاحًا في ذلك الحي الجديد ولو بشكل جزئي.

*** مقهى رونيسونس:** كان البطل يجرّه حنينه إلى ذاك المكان، فهو مكان خاص بالنسبة له، لأنّه جمعه مع محبوبته "رانية" لشرب القهوة، وكان ذلك أكثر شيء يهمه ويفرحه في الحياة، أن يكون قريبا من الفتاة التي لطالما أحبّها بشكل جنوني وغير طبيعي، يقول: " رأتني فابتسمت وتقدمت نحوي، صافحتني بحرارة، وقالت أنها في إجازة لكن لا أحد في البيت يعلم بذلك... وطلبت مني أن نشرب قهوة في مقهى " رونيسونس" المقابل، حيث جلسنا قبالة بعض."[1]

*** حي حيدرة:** كان البطل معجبا بهذا المكان، إذ رآه مختلفا عن الأماكن الأخرى الموجودة في بلده، فالبطل لطالما أراد العيش فيه، وذلك لنظافته، وجماله وهدوءه وأناقة مظهره الاجتماعي، فهو كان مختلفا عن الحي الشعبي الذي كان يسكن فيه، والذي تميّز بالفوضى والأزقة الضيقة، فكان رضا شاوش يراه على أنه مكان مخصص للباشاغاوات والقياد فقط دون سواهم من البشر، وهذا ما كان يزعج رضا، ويجعله غير راضٍ على هذا النظام غير العادل، وغير الأخلاقي، " عندما كنت طفلا كنت أحب زيارة حي "حيدرة"، كان حيّا نظيفًا جدًا، وصامتا كذلك، مختلفا عن الأحياء الشعبية التي كنا نسكن فيها، والتي كان أهم سماتها الضجيج والفوضى والازدحام... كنت أذهب مع أحد إخوتي الذي كان يدرس قريبا من ذلك الحي....، كنت أشعر بضيق لأنه

[1]– الرواية، ص 91.

يوجد أناس من بني جلدتنا يعيشون في رفاه كبير في هذا الحي، ونحن الأغلبية نختنق في بيوت تشبه العلب المخصصة للكلاب... كان الأمر يبدو لي غير طبيعي، ولا انساني بالمرة."[1]

2- **الأماكن غير المتصالح معها:**

* **السجن:** كان رضا شاوش يمقت كثيرا هذا المكان، وذلك لأن والده كان مدير للسجن وهذا ما جعل رضا يكره السجن وأصحابه، ظنًا منه أن المسؤولين هناك يقومون بتعذيب الناس، ويسلبون لهم حريتهم وحقوقهم الطبيعية، يقول:

" يسألني أخي:

- ما مشكلتك مع السجن؟

أجيبه بسذاجة

- أكره الأقفاص المغلقة وأحب الحرية."[2]

وهو موقف ترسخ في وعيه من خلال عمل والده في السجن وقيامه بتعذيب المساجين وإهانتهم.

* **المطعم:** في هذا المكان يتعرف رضا على الجماعة النافذة والمسيطرة على البلاد، والتي سيصبح فيما بعد عضوا فيها. كل ما في المطعم من فخامة وحداثة، لم يعطيه رضا أي اهتمام بل كان الأمر سخيفًا بالنسبة له، وفيه بعض الهيبة، وذلك هو أسلوب سعيد بن عزوز ليوقع

[1]- الرواية، ص 97-98.

[2]- الرواية، ص 85.

برضا في فخه الماكر، ويستدرجه شيئا فشيئا حتى يصبح تابعا لهم، يقول رضا: "دخلنا ساحة حيدرة بسيارة الشرطة، وتوقفنا قرب مطعم مختفٍ عن الأنظار... كان المطعم كبيرا وعلى طراز حديث...كل شيء فيه على الطريقة الفرنسية، بدا لي الأمر سخيفا لكن مهيبا بعض الشيء...وكانوا ثلاثة كهول في سن متقدمة، ولكن وجوههم محمرة وعيونهم تلمع كالماس...ويبدو من خلال جلوسهم...أنهم يشعرون بفكرة كونهم أسيادًا حقيقيين وكل شيء يسير بأيديهم."[1] ،لذا يكتسي هذا المكان أهمية خاصة ،تجعله مبعث أهم تحول في حياة "رضا" ،وقد كان تحولا إلى الأسوأ.

* **<u>الحي القصديري:</u>** كان رضا يشمئز من ذلك المكان، لأنه أبعده عن "رانية" حبّه الأزلي، حيث عاشت مع "علام محمد" بعد زواجها منه، الشيء الذي أزعج رضا كثيرًا، وجعله ينفر منه ، لكن رغم كل هذا لم يمتنع من مراقبة حبيبته وظل يذهب إلى ذاك الحي، لعله يراها ولو من بعيد، فظل ينتظر وقتًا طويلًا، فإذا بها تفتح الباب لزوجها، وبرؤيتها اقشعرت روحه واهتز قلبه فرحا وحبًا لرؤيتها. يقول رضا: " ذهبت إلى ذلك الحي القصديري، وأنا متوتر جدًّا، بأحاسيس غير مضبوطة، متنافرة، أقدم رجلاً، وأأخر أخرى، لكنني ذهبت، متيقنا من أنها ربما تكون فرصتي الأخيرة لرؤيتها، بقيت غير بعيد أراقب الحي علّني أراها للمرة الأخيرة..."[2] ،ولما كان هذا الحي هو المكان الذي اغتصب فيه "رضا" "رانيا" ،فقد اتخذ بعدا رمزيا مهما وارتبط بمجيئ ابنه – الذي سلك طريق التطرف – إلى الحياة ، وكأننا بالروائي يصوره كمكان لميلاد التطرف.

[1]- الرواية، ص 98-99.

[2]- الرواية، ص 105.

*** الجبل:** لم تكن لرضا شاوش علاقة طيبة مع ذلك المكان، لأنه المكان الذي فقد فيه ابنه عدنان بعد أن تمرّد على نظام البلاد، وهذا ما دفع رضا للذهاب إليه لينقذ ابنه المهدد بالقتل إذا ما عاد إلى الحياة المدنية، لكنه لم يستطع إنقاذه ولقي حتفه في ذلك المكان الموحش و المخيف، وكأنه يدفع ثمن أخطاء والده، يقول البطل رضا شاوش: "طلبت من أجهزتي الاستعلام عن المكان الذي يختبأ فيه عدنان، والجماعة التي ينتمي إليها، وتوفير قوة للذهاب إلى ذلك المكان... وأتوجه لجبل في عين شنوة...وهناك خرج ذاك الشاب الذي قال أنه عدنان...تقدم عدنان منِّي ووضع فوهة البندقية على جبهتي... وبدل أن تنطلق رصاصة البندقية لتدفعني إلى العالم الآخر...انطلقت رصاصات الرشاشات من كل وجهة وسقطوا جميعهم مقتولين."[1]

## 3- الأماكن المتردد بين التصالح معها والشعور باللاّ انتماء اليها:

*** المدرسة:** كان يحمل ذكرى جميلة عن ذلك المكان في البداية، وكانت تمثل بالنسبة له مكان التعلم، وتلقي مختلف المعارف والعلوم، وهي المكان الذي التقى فيه بمعلمة العربية التي غرست فيه حب التعلم وقراءة الكتب، ومكابدة مشاق التعلم، يقول: " ولا أنسى طبعا يوم دخولي المدرسة بمئزر أبيض خاطته لي جارتنا "سعيدة"... وأبي وهو ينصحني قبل مغادرة البيت أن أتعلم جيدًا، وأبرهن له أنني رجل يستحق ثقته...أن يثق في والدي، فهذا كان بالنسبة لي

[1]- الرواية، ص 162-165.

الضمان الوحيد لحريتي."[1] لكنه في الأخير أصبح لا يطيق ذلك المكان، ويظهر ذلك حينما توقف عن الدراسة بعد انتحار والده، لأنّه بدأ يفكر بسلبية، وبلا مبالاة حيث يقول: "تركت الدراسة بدوري، وأنا أقول لا ينفع معي التعلم، ولا القراءة وأنني لن أصلح لهذه الأشياء، وأنّه عليّ أن أفكر في الأشياء التي أصلح لها، ولابد أن في مكتوبي السماوي شيئا أنفع به نفسي والعالم، شيئا يقدر على هدايتي للطريق الحقيقي.."[2]

* **الكوخ:** كان رضا ينفر من هذا المكان من جهة، لأنّه البيت الذي جمع رانية مع حبيبها وزوجها "محمد علام"، ومن جهة أخرى يحِّن إليه لأنه المكان الذي وحّد بين جسده وجسد حبيبته "رانية"، الفتاة التي طالما أحبها، ولم يظفر بحبها، لأنها كانت تحب غيره، وهذا ما دفعه للذهاب إلى ذلك الكوخ ليقابل "رانية"، ويبوح لها بحبِّه المكنون، وفي هذا المكان قام باغتصابها دون سابق إنذار، وهذا يدل على أنه دخل حالة اللاوعي عندما فعل فعلته الشنيعة تلك، "...وقفت قرب الكوخ ثوان معدودات مترددًا...ثم طرقت الباب...أسرعت بفتح الباب، وهي متعجبة...فقمت من على السرير، وصحت بأعلى صوتي: أحبك نعم أحبك، وأنا مستعد في سبيل هذا الحب أن أقتل الجميع...ورحت بهياج أمزق دبر فستانها...لم يدم ذلك إلاّ

[1]- الرواية، ص 26-27.

[2]- الرواية، ص 47-48.

دقائق...وانتهى ذلك العراك بيننا..."[1]وهنا يظهر التوتر الذي يعيشه البطل بين الحب والكره، الاندفاع والاستسلام.

*** المدينة السرية:** كان رضا شاوش متصالح معه من جهة، لأنه المكان الذي انتقل من خلاله إلى الضفة الآمنة من العالم أي العالم السيد في البلاد، حيث أصبح شخصا مهما من ذلك العالم القوي، ومن جهة أخرى كان غير متصالح معه، لأنه المكان الذي دفع به إلى أقصى ظلمات الحياة، وهو الذي كان يسمع عنهم في الحكايات والأساطير فقط، لم يتخيل أبدًا أنّه في يوم من الأيام سيصبح سيّدًا بعد أن كان شخصا عاديًا من عامة الناس، يقول رضا في ذلك: " دخلت البيت، أو القصر، وأنا لا أصدق، أنني أقترب من هؤلاء الذين سمعت عنهم أكثر مما يجب من حكايات وأساطير ترعب أي مجنون فما بالك بعاقل...ومع كل مهمة كنت أنجزها كنت أشعر بأنني أتعمق أكثر في منظمتهم تلك...كانوا يطلبون مني أشياء غريبة، وكنت أنفذها، وصرت بعدها واحدًا منهم أتنعم بالحياة كما يتنعمون بها."[2]

تتعمق غربة "رضا" أكثر وأكثر في الأمكنة التي يرتادها ، وتتوتر علاقته المتوترة ببعض الأمكنة الموجودة في الرواية، حيث أن أماكن كانت له ذكرى جميلة معها وأخرى كان يشعر بالغربة واللا انتماء داخلها، وهنا يظهر التوتر والتردد واضح في شخصية رضا شاوش،وهذا مظهر آخر جعلنا نصنفه على أنه بطل إشكالي .

[1]- الرواية، ص107-111.

[2]- الرواية، ص 113-114-120.

**ب- علاقته بالشخصيات:**

تمتاز شخصية البطل "رضا شاوش" في هذه الرواية بمركزيتها بالنسبة لباقي الشخصيات الأخرى، فهي تقوم بدور حيوي بالغ الأهمية في بناء الأحداث وتسلسلها، إذ لا يمكن أن نتصور رواية بدون شخصية رئيسية " فالشخصية هي القلب الذي يتمحور حول الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه."[1] وقد تنوعت علاقات "رضا" ببقية الشخصيات بين التصالح والتوتر ؛ حيث أن هناك بعض الشخصيات كانت له علاقة ودية بها، أي أنها كانت تحسسه بالأمان وراحة البال، وأخرى كان نافرا منها، لأنّها كانت السبب وراء تحوله من انسان إلى شخص بلا قلب، بينما هناك شخصيات كان رضا متردد بين حبِّها وكرهها، ومن بين هذه الشخصيات نجد:

**1- الشخصيات المتصالح معها:**

*** والدته:** كانت قريبة منه، حسسته بالحنان الذي لم يقدمه له والده، كانت تصحبه معها خارج البيت عندما كان صغيرا عكس أبيه الذي لم يكن يصحبه أبدا خارج البيت، كانت تواسيه عندما يتألم من حين لآخر، كما أنها كانت تشعر بمصائبه الداخلية، وأحزانه المكبوت، يقول : "كنت أذهب مع أمي للجبانة القريبة من بيتنا...كانت تواسيني كما لو أنها تعلم مصائبي الداخلية،

[1]- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الانسانية، ع 13،جوان 2003، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 195.

وتترجاني أن أفكر في عاقبتي الأخيرة...تلك عادة أمهاتنا الجميلات أن ينصحننا دائما بالخير، والطريق السليم."[1]

* **معلمة العربية:** يكن لها رضا الكثير من الاحترام والحب طيلة السنوات التي درسته فيها، ويراها كالأنبياء الذين يرسلون لإخراج الناس من الظلام إلى النور، وبفضلها هي فقط أحب قراءة الكتب، كما كانت تمدح حبه للقراءة مدحا خاصًا، وهذا ما جعله متميزا عن غيره بالنسبة لها، لذلك كانت أمنية رضا لو كانت معلمة العربية هي أمه بالفعل، لأنها تحسن الكلام بأسلوب جميل وأنيق، ولغة راقية، فهي كانت تبعث فيه حب الحياة، وتذوق كل فيها من خلال الأدب لا غير، " كانت معلمة العربية امرأة ودودة للغاية، وتتكلم كما لو أنها نبيّة أرسلت لإخراجنا من الظلمات إلى النور، على عكس المعلمين الآخرين لم تكن تستعمل العنف قط، كانت طريقتها أن تجعلنا نحب ما نقرأ...لاحظت شغفي بالقراءة فكانت تعيرني من مكتبتها قصصا...وكانت تمتدح حبي للقراءة...علمتني القراءة وحبّها..."[2]

* **سي العربي:** كان بمثابة الأب الروحي لرضا شاوش، كانت العلاقة التي تجمعهما مبنية على المودة والاحترام والتقدير، فهو من عوضه وبشكل كبير عن حنان واهتمام والده، لذلك كان رضا يحبّه كثيرا، ويسير على خطاه، ويخبره بجميع أسراره، لأنه كان ينصحه في جميع قراراته بكل صدق ومحبة، فكان دائما يصّر عليه أن يكمل دراسته، يقول: "كان عمي العربي هو معلمي

[1]- الرواية، ص 25-56.

[2]- الرواية، ص29-30-31.

السياسي، وأبي الروحي، وفي تلك البدايات الأولى كنت أصغي إليه كمرشد حقيقي، كان نقيض أبي في كل شيء، وكان عكسه يتكلم عن الزعيم بطريقة فيها النقد اللاذع...لم يكن لدي غير عمي العربي أخبره بما أقررته بداخلي، ونويته في سريرة وعيي..."[1].

فكان سي العربي بالنسبة لرضا دائما ذلك الصدر الرحب الذي يلجأ إليه عندما تضيق أمامه السبل وتتقطع أمامه الحلول.

* **عدنان:** وكان صديق رضا شاوش وكاتم سره، حيث كان هو الآخر رافض لواقعه المنحط، لكنه على عكس رضا كان لديه موقف ثابت في الحياة، كان رضا يغار منه، لأنّه كان ذا ثقافة واسعة وعلم غزير، وبمساعدة عدنان صار لرضا عمل بعد أن ترك الدراسة، يقول: " كان عدنان الوحيد الذي أستطيع التكلم معه في أموري الخاصة، حدثته قديما عن حبي لتلك الفتاة...وكان يبدو لي أحيانا ضائعًا مثلي بالفعل، ولم يجد طريقه بعد، ولا يعرف حتى من أين يبدأ البحث...متعب أكثر مني، ضعيف وقوي، غير أنه كان ثابت الموقف...كانت تعجبني ثقافته الغزيرة عندما يتكلم...بل كنت أغار منه، وهو يتشهد مرة بماركس، أو لينين..."[2]

* **رانية مسعودي:** كانت العلاقة بين رضا شاوش ورانية مسعودي علاقة حميمية، فهذه الفتاة كانت حبه الأول والأخير، فقد كان بطل الرواية مولع بحبّها لدرجة العشق والوله منذ الطفولة، إلا أنها كانت تكبره بسنوات وتحب غيره، وهذا لم يمنعه من الاستمرار في حبهّا لسنوات،

[1]- الرواية، ص 37-41.

[2]- الرواية، ص 39-42-46.

ويكتشف أنّه في كل مرة يلتقي بها تزيد نار حبّه الحارقة، أما رانية فكانت تراه على أنه مجرد صديق، فكانت تشتكي له سوء معاملة أخيها "كريم" لها أملا من أن يجد لها رضا شاوش حلاً يخرجها من ذلك الحصار الخانق، وذلك بأن يقنع أخاها بتزويجها لحبيبها "علام محمد"، وهنا تبدأ العلاقة بينهما بالتوتر، وتزيد حدة عندما يقوم باغتصابها، وبذلك تتحطم العلاقة بينهما وتنتهي للأبد، يقول: " أيامها لم أكن أعرف ما هو الحب، ولكن صورة رانية كانت هي مختصر الحب وجنونه المتوحش...رانية القصة غير الممكنة والحلم المجروح، والتي بالكاد برأ جرح عشقها الكاوي كنار حارقة...زاد حبي لها زاد تعلقي بها، يكفي أنها تضغط على هذا الوتر لأنتهي بالفعل...وأقول لها أنا عاشقك المتيم، وأنا عبدك الضعيف...أنا بدونك لا أساوي أي شيء، أنت لحن حياتي ومعناي في هذا الوجود."[1]

* **كريم**: كان لكريم "أخ رانية" علاقة جيدة برضا شاوش، حيث كان كريم يهاب رضا، ليس خوفا منه، بل خشية من أبيه مدير السجن، والسبب في ذلك أن كريم كان متوحشا ومجرمًا يقوى على إيذاء من هم أضعف منه، لذلك كان كريم يحب رضا لأنّه يمثل السلطة، والجبناء أمثاله يخافون كل من له صلة بالحكومة، يقول: "...قابلت أخاها كريم لم أقل له أي شيء، لقد بقي ينظر إليّ بمهابة، كما تصورته تمامًا، جبانا أمام من يراهم يمثلون سلطة ما، كنت أعرف

[1]- الرواية، ص 49-57-61-62.

هذا منذ صغري...كان يخضع لي، أقول له افعل هذا فيفعل...لم يكن يخشاني أنا بالتأكيد بل يخشى أبي الذي كان يدير السجن..."[1]

## 2- الشخصيات المتردد بين حبِّها وكرهها:

* والده: كانت علاقة رضا شاوش بأبيه هشة ومشوهة، حيث كان متردد بين حبه وكرهه، يحبه لأنه أبوه الذي أنجبه من صلبه، وكان يكرهه بسبب عمله كمدير في السجن، حيث كان يرى أباه على أنّه معذِّب للناس وسالب لحريتهم، فمشاعره نحو أبيه كانت متناقضة يحبه ويكرهه، يخافه ويحترمه، يرغب في الانتساب إليه، ويمقت ذلك الانتساب، فهو بالنسبة له لغزًا محيرًا، سراً مخفيا لم يفهمه أبدا، فهو لم يكن راضيا على عمله في السجن ولا بأي شكل من الأشكال، يقول رضا: " صغيرًا شعرت بلغزية أبي فلم أكن أفهم ذلك، وكان يبدو لي رجلا محكوما بسر، حتى يخيّل لي أنه رجل يعيش حياتين، سيرتين، له عالم آخر في مكان لا نعلم به،...مات أبي منتحرًا...ماذا كان يعمل أبي حتى يخافه الجميع بذلك الشكل المروع؟ هل كان جلادًا حقًا في تلك الزنزانة."[2]

* **سعيد بن عزوز:** كان زميلا قديم لرضا، تربطهما علاقة مضطربة ومتذبذبة ومعقدة منذ الطفولة أين درسا معا حتى السادسة ابتدائي، إلا أن سعيد بن عزوز لم يوفق في امتحان الانتقال على المتوسطة، وأرجع إخفاقه على رضا شاوش، فكان يراه على أنه عقبة في طريقه

[1]- الرواية، ص 78-79.

[2]- الرواية، ص 28-29-34.

ورمزا لخسارته، حيث يرى أن نجاح رضا كان بسبب والده الذي كان يكرهه سعيد كثيرا لأنه السبب الوحيد وراء مقتل والده الذي راح ضحية لخطأ لم يرتكبه، يقول:"...استفسرته عما فعله والدي لوالده، وما هي التهمة التي كان متورطا بها...لم يكن ذنب والدي حينها، ولكن التحقيق السيء هو الذي قاد إلى هذه النتيجة المأساوية...لأنه بعد انتحار والد سعيد بن عزوز تبين أنه لم تكن له علاقة بالتهمة التي وجهت له، وأنه اشتبه فيه لا غير..."[1] فقرر الانتقام منه وذلك بإدماجه داخل جماعة نافذة في الحكم، يعمل لصالحها، يقول: "...ماذا تريد أن تكون في هذا البلد سيدًا أم عبدًا؟...ولكن أنظر...الفرصة جاءتك لتخبرك أنك محظوظ جدا...قبل أن نخرج من هنا أريد أن أعرف إن كنت ستكون معنا أم لا؟-في أي شيء؟- في المهمة التي سأوكلها لك...بقي كلامه يرن في أذني لوقت طويل...إلا أنني هاتفته في الغد وقلت له: أنا موافق."[2] ومن ذلك الوقت أصبح رضا ينفذ كل ما يطلب منه دون تردد أو خوف. رغم الكراهية التي كان يكنها "سعيد بن عزوز" لـ"رضا شاوش"، إلا أنه كان دائما يسعى لإرضائه من أجل مصلحته، وتحقيق طموحه بالحصول على مكان في المنظمة "...رغم نقمته علي، وكراهيته لي إلا أنه كان صبورًا جدًا معي، ومتأثرًا مخلصا على إرضائي، ومتزلفا عنيدًا في التقرب مني..."[3] ويستمر "سعيد بن عزوز" في محاولة إرضاء "رضا شاوش" للوصول إلى مبتغاه، إلا أن

[1]- الرواية، ص 71-73.

[2]- الرواية، ص 100-102-103.

[3]- الرواية، ص 148.

المنظمة لا ينفعها أمثال " سعيد بن عزوز" فتركوه في منصبه التعيس يقدم أقذر الخدمات من دون مقابل.

**أعضاء المنظمة**

- **رب عمل رضا:**

كان رضا شاوش يتعامل مع المدعو بالرجل السمين بكثرة وقريبا جدًا منه حيث كان رضا خادمًا مطيعًا ومخلصا له، ينفذ أوامره بحذافيرها يقول في ذلك "... كان الرجل السمين أكثرهم قربًا مني، وكان يَظهر نحوي ودًا عجيباً كنت أشك فيه غالب الأحيان، فهو من علمني الحيطة من كل ما هو طيّب، وودود، ... وشرح لي ذلك بقوله: لم يرزقني اللّه أولادًا وأعتبرك ابني الوحيد[1] يضيف قائلا: "... أنا عبد مأمور أفعل ما يطلب مني، وأكافأ بجزالة، وهذا يكفيني لكي أكون مرتاحًا اليوم"[2] ورغم أن "رضا شاوش" كان مخلصًا للرجل السمين الّا أنّه وافق على التخلص منه، لأنه لم يعد يلزهم، أصبح خطرًا على الجهاز بسبب صحوة الضمير لديه وأيضا لأنه كان السبب وراء موت والد رضا شاوش فهو من دفعه للانتحار، لذلك قام رضا بقتل الرجل السمين انتقاما لموت والده.

- رئيس المنظمة: جمعتهما علاقة عمل ومصلحة أكثر من أي شيء آخر، وهو الذي كلف " رضا شاوش" بمهمة قتل " الرجل السمين"، لأنه كان أقرب الناس إليه، يلازمه كظله، يقول رضا: " رأيتني في حضة رجل في الخمسين من عمره ... قال لي بلهجة أمرة:

---

[1]- الرواية، ص120.

[2]- الرواية، ص128.

- أجلس

فجلست

- ما المطلوب مني تأديته يا سيدي، أن مستعد لتنفيذه على الفور

- نريدك أن تصفي هذا الشخص..."[1]

- مما تقدم يتضح لنا أن التأزم والتمزق الموجود في شخصية رضا شاوش يظهر في علاقته بالشخصيات الأخرى التي كان غير متصالح معها في حياته، والتي جعلت منه شخصًا سيئًا في هذا الوجود، شخصًا لا يعرف الإنسانية ولا معناها، وهو مظهر آخر من مظاهر إشكاليته .

**ج – كلامه وأفكاره:**

يتضح لنا أن رضا شاوش من خلال كلامه وأفكاره ليس بطلاً إيجابيا كالبطل الملحمي الذي هو دائمًا بطل منتمي الى عالمه الذي يعيش فيه وذاته أيضا، بل هو بطل يعيش اضطرابًا مأساويًا ومأزقًا يجعله يتأرجح بين الذات والموضوع فيعجز بذلك عن تحقيق أهدافه وما يؤمن به ويتضح ذلك في قوله: " كان الضجر يمزق ذهني، يفتت من كل شيء لكن كنت أريد أن أعرف إن كانت حياتي ستذهب نحو ما أريده، وهو الأمر الذي لم أستطع تحديده قط."[2]

[1]– الرواية، ص132–133.

[2]– الرواية، ص44.

لم يتمكن رضا شاوش من تجسيد الأفكار والمبادئ التي كان يؤمن بها والتي تعلمها من " معلمة العربية" ومن صديقه "عمي العربي"، لأن الواقع كان مهترئا تسوده السلبية والتقهقر، كما أن هذا الواقع الذي يحاول أن يفجر فيه رضا شاوش أفعاله هو واقع غير مكتمل، تعبث به أيدي الإجرام والخيانة والغدر، خاصة خيانة حبيبته فقرر الانتقام منها، وذلك عن طريق إفشاءه لسر علاقتها مع ذلك الشاب الذي تحبُّه لأخيها " كريم" الذي قام بضربها وإيقافها عن الدراسة، وهنا رضا كان سلبيًا بفعلته تلك، أما الغدر فكان من صديقه في الدراسة " سعيد بن عزوز" الذي أراد الانتقام لموت والده الذي كان على يد والد رضا شاوش مدير السجن، وهذا ما جعل سيعد بن عزوز يهدد رضا بإدخاله السجن، إن لم يصبح تابعًا له، مما دفعه للهورب من مدينة ولادته وأحلامه مسافرًا الى مدينة بعيدة هي مدينة "عنابة"، هاربًا بجلده من قتله الأحلام وسجانيها.

يتبين للناس من كلام البطل أنّه يفكر بلسبيته وذلك عندما لا يؤمن بفكرة الزواج كعقد اجتماعي يمثل نصف الدين الإسلامي، بل لم تكن له أية صلة بالدين فهو كان بعيدًا عنه كل البعد، لكن حبُّه الشديد "لرانية" جعله يتنازل عن موقفه ويطلب يدها للزواج قائلاً: " فكرت أن أقترح على رانية الزواج، حتى لو لم أكن مؤمنا بذلك العقد الاجتماعي بأي شكل من الأشكال ولكن بما أنه سينقذها فلا بأس، ثم أنها رانية، شعلة قلبي المتوهجة، وبريق عينّي المضيئتين، وسحر حبي المتألق".[1]

[1]– الرواية، ص75.

يتبين من كلامه أنّه متذبذب نفسيًا وفكريًا، فهو لا يعرف لنفسه وضعا ولا موضعًا، ولا غاية كيف لا وهو لا يؤمن بالقضاء والقدر، وهذا ما يدفعه الى الجهل و الكفر بخالقه عن وعي أو عن لا وعي منه بذلك المصير الذي سيؤول إليه حيث يقول في ذلك: " لا أخفي بأنني فكرت كثيرًا في مسألة القدر، في الصدقة، في الحياة وفي اللعنة أيضا، وتساءلت كعادتي، وأنا لا أعرف أين أمد بصري، وفي أي طريق أتبصر معناي الذي لم يكن حتى ذلك الحين ليرمز لشيء محدد هل هو سوء طالعي؟ قدري السيء؟ معناي الغامض الذي لم أستطع الإمساك به؟ هل وهل؟"[1]

لا يسعى رضا للوصول إلى ما يريده، بل لا يحاول حتى مجرد المحاولة، فهو لم يحاول الحصول على حب رانية له، فلم يجد بدلاً من الاستسلام أمام قسوة الحياة، أمام من يأخذه منه حبه الوحيد دون أن يحرك ساكنا، فاستسلم بلا مبالاة ولا اكتراث، يقول في ذلك: " لا نملك أي سلطة أمام الحب، عندما يهجم على قلوبنا، ويخبش أرواحنا، لا نستطيع تغيير مسارنا حينها، التهلكة هي النتيجة الحتمية، وكلما اندفعت في مجاهيل ذلك الحب العاصف لتلك الرانية، كلما شعرت أن نهايتي ستكون على يدها".[2]وهذا مظهر آخر من مظاهر سلبيته.

كما يتميز بالتردد، فهو يتأرجح بين ذاته ومجتمعه، فيعيش بذلك بين رافض لواقعه ومجبر على العيش فيه واتباع طريق من يحيط به، ولو كانوا على خطأ، فقد كان يتبع أباه الروحي "عمي العربي"، رغم أن أسلوبه في العيش كان على طريقة الغرب خاصة شربه

[1]– الرواية، ص76.

[2]– الرواية، ص87.

الخمر، مع أن ذلك الفعل حرام في ديننا الإسلامي، فهو بذلك يقف يشاهد الخراب ولا يحرك ساكنًا، وكأن تدهور الأوضاع في بلاده أمر لا يعنيه، رغم أنه جزء لا يتجزأ من ذلك البلد، فنظرته للمستقبل كانت نظرة تشاؤمية يائسة لا أمل فيها، ولا تفاؤل حيث يقول: " التعفن سيتراكم، سيزحف كالجراد، وسيمتد للداخل، ويقبض على زمام الأمور، سيصير الوجود مثل هذا الحي كيانا بلا روح، هشًّا وفارغًا، محشوًا بالقذارة، ورائحة العفونة، منذور لليأس والانحطاط، غامضًا، ويعد بكل الشرور".[1]

فالبطل في هذه الرواية ذو تفكير رجعي، لا يمتلك أي إرادة في الحصول على ما يريد، يتحكم به الشر وليس لديه القوة على إزاحته عن طريقه، ولشدة سلبيته وتشاؤمه أصبح يرى الحب شرا في حياته يقول: " إن الحب هو كالشر أعمق، وأعقد بالتأكيد، إنَّه العطاء والأنانية، إنّه منح الحياة، وأخذها، إنّه الهلاك، ومنه تعلمت في تلك اللحظة التي كانت شمس الحب تغرب بقبلي، وقد تحولت لكتلة من السواد، كم كان ثمن كل ذلك فادحًا للغاية، وأنني بغيابه خطوت نحو طريق جديد، طريق آخر"[2]

بعد أن فعل رضا فعتله الشنيعة برانية، واغتصابه لها أصبح شخصًا سلبيًا بالكامل يفعل أي شيء دون تردد أو خوف، أي أنه تغير من شخص الى شخص آخر بلا إحساس ولا ضمير، يقول: " شعرت ، وأنا أخرج من بيتها بأنني خلاص تغيرت، صرت شخصًا جديدًا

[1]- الرواية، ص105.

[2]- الرواية، ص107.

بالفعل، وأنّه يمكنني أن أفعل أي شيء أريده فلم يعد هناك ما يخيفني في الوجود، وأنني من تلك اللحظة قد ذهبت للضفة الأخرى من العالم".[1]

قام البطل بتحديد مصيره في الأخير، وأصبح عضوًا في تلك الجماعة ، فتحول الى شخص سيئ بالكامل بعد انضمامه إليها، وتوغله في ظلمهم وبشاعة ما يقومون به، فصار خاضعًا لهم بشكل تام، وهذا ما جعل رضا يفقد روحه بعد انضمامه للجماعة، فأصبح ضائعًا لا يدري ما هي وجهته في الحياة، فتحول بذلك من إنسان الى شر مطلق، من إنسان نافع في الحياة الى شيء مدمر للوجود وللأبرياء خاصة، يعيش على حسابهم، ومن دمائهم الطاهرة والبريئة، فهو شخص بلا ضمير مثل والده، ينفذ ما يطلب منه دون كلل أو ملل، أصبح بلا قلب بلا حب، وبلا روح، فوصل بذلك الى قمة وحشيته، بلا رحمة، ولا إنسانية، بل لم يكتفي بدماء إخوانه، وتعدى حتى لأكل لحومهم يقول: " لم يعد يكفيني المص اللعين لدمائهم بل صرت أكثر بشاعة من هذا إذ انتقلت لمرتبة أخرى حيث رُحت آكل لحومهم"[2]

فالبطل ليس لديه أي موقف في الحياة، وعبُدٌ مأمور ليس لديه الحق في إبداء رأيه، ولا بأيَّ شكل من الأشكال، يقول " ليس لي موقف، أنت تعرف هذا منذ انضمامي إليكم، وأنا عبد مأمور أفعل ما يطلب مني، وأكافأ بجزالة، وهذا يكفيني لكي أكون مرتاحًا اليوم"[3]، فالبطل هنا لا يفكر إلا في نفسه، فهو لا يكترث لمن حوله إن عاشوا أو ماتوا جمعيًا.

[1]- الرواية، ص112.

[2]- الرواية، ص126.

[3]- الرواية، ص128.

قام رضا شاوش بجريمة قتل (قتل الرجل السمين الذي كان يعمل لصالحه)، فأصبح مجرمًا قاتلاً، لذلك فإن " النقاد يجمعون على أن الرواية تصور بطلاً من نوع جديد بطل ليس فيه من البطولة سوى اسمها، والبطل في الرواية المعاصرة لا ينفرد بتلك الفضائل التي كان أبطال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يتحلون بها."[1]

ويستمر في تمرده الى حد إنكاره علاقته بعائلته فهو يعتبر تلك العائلة مجرد شيء يملأ به فراغه من وقت لآخر، فيصبح بذلك إنسانًا منفردًا بذاته، وبذلك "كانت نظرته الفردية سببًا في انحراف تفكيره الاجتماعي، بعد أن انحرفت عاطفته الفردية".[2]

أخفق رضا شاوش في العثور على الأمان مع مجتمعه لأنه عجز عن الأمان مع نفسه، وهنا تظهر غُربتُه داخل العالم الذي يعيش فيه، فأصبحت تلك الجماعة، وما يقومون به من أفعال إجرامية هي الحقيقة المطلقة في البلاد، وعدا ذلك فهو مجرد كلام فارغ لا غير، يقول "هؤلاء هم الحقيقة الوحيدة في هذه البلاد وغيره مجرد نظريات وأكاذيب جميلة"[3]

معنى ذلك أنّه يبحث عن مجتمع أفضل أو ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، وهو ما وجده في هذه المنظمة الحاكمة.

تغيرت حياة "رضا شاوش" جذريا بعد أن أصبح عضوًا في تلك المنظمة وكأنه ولد شخص جديد بداخله شخص متوحشًا وشريرًا وشرس وخطير جدًا شخصًا لا يخاف من النّار بل

[1]- أحمد إبراهيم الهواري، البطل المعاصر في الرواية، المصرية، دار المعارف، جملية الآداب، جامعة الزقازيق، ص1979، ص42-43.

[2]- المرجع نفسه، ص93.

[3]- الرواية، ص143.

أصبح هو النّار بحدِّ ذاتها تحرق كل من تجده في طريقها بلا شفقة ولا رحمة، فيأتي تمرده هذا تمرد فتى مراهق لا ثورة إنسان يعرف الطريق أو الغاية ويحدد الوسيلة لبلوغها، يقول البطل: " طلقت حياتي السابقة تطليقًا نهائيًا، أو ظننت ذلك، أخذت الأشياء شكلاً يقترب من عالم الصمت والعزلة، شكل من وضع قدميه في النار محترقًا بها، وصار هو النار بعينها، الناس التي يقتات بها، وتقتات منه، والنار التي بها يعيش ظلماته السوداء دون أن يخشى عتماتها".[1]

يعيش رضا في حيرة دائمة ويسعى وراء أوهام النفس الجميلة، فهو أحيانا يصبح ضد تلك الجماعة، يحاول تسريب أسرارهم للشعب، يتمرد ويحتج على أفعالهم المشينة لأن ضميره بدأ يصحو بعض الشيء مثلما كان عليه الرجل السمين قبل قتله، فأصبح رضا يفعل ما كان يقوم به ذلك الرجل السمين فهو يحاول أن يبحث عن ذاته والاّ فما مبرر هذا العذاب الروحي والعقلي الذي كان يعيشه.

تظهر فردية "رضا" وتشبثه بها، عندما أصبح لا يهتم بأحد وخاصة الأقربين إليه، مجرد من الإحساس والعاطفة تجاه من حوله، لدرجة أنه لم يذرف دمعة واحدة على موت والدته وكأن الأمر لا يعنيه أو كأن والدته أصبحت شخصًا غريبًا عليه.

يعيش بطل هذه الرواية (رضا شاوش) بين الحقيقة والشك حالمًا مترددًا، وهذا ما جعله عاجز عن تحقيق السعادة الحقيقية، فهو بذلك يعيش في عالمه الداخلي أما الخارج فلا يحاول ولو مجرد المحاولة للتغيير ويكتفي فقط بالحلم والخيال، أي أنه ذائب في ذاته نافر من

[1]- الرواية، ص144-145.

مجتمعه، عنده حساسية غريبة من النظام الاجتماعي القائم في بلده " فثمة تياران في حياة هذا البطل، الرغبة في التطور والتقدم، والرغبة في التقهقر والنكوص".[1]

وهذه هي أزمة البطل رضا شاوش، يقول رضا في ذلك: " ... والغريب أنني لم أطلب هذه الحياة، ولم أسع إليها كما لم تكن هذه هي غايتي من وجودي على هذه الأرض، في هذه البلاد، ولكن الحياة شاءت أن أذهب حيث لم أقرر الذهاب، أن أصل إلى حيث كان من المفروض أن لا أصل وأن أبلغ مرتبة يحلم الجميع بالوصول إلى عتبتها...".[2]

فالبطل داخل ذلك العالم يستعيد ذكريات الماضي السعيد، وهذا ما يجعل نفسيته تتأزم أكثر فأكثر، فهو لم يكن يعرف حقيقته إلا من خلال ذكرياته القديمة التي نسيها أو ظن أنّه نسيها.

اختار "رضا" طريق الشر بإرادته، ولم يجبره أحد على فعل ذلك لا القدر ولا الظروف، ولكنه يتراجع بسرعة عن موقفه ويرجع كل ذلك إلى العالم الذي يعيش فيه، يقول: " لقد اخترت، وانتسبت للشر دون نقاش أو جدل، لم يدفعني لا القدر ولا الظروف، ولكن بالتأكيد لعب كل ذلك دورًا، إن الإنسان هو محصلة بيئته..."[3]

يتعمق البطل في تمرده حين يصرح بأنّه لا يؤمن بكلمة خير، ولا من يؤمن بها ويقولها، وهذا يزيده إصرارًا على ألا يغير من موقفه بل ينتظر أن يتغير العالم من أجله، فيبرر أفعاله

[1]– أحمد إبراهيم الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص108.

[2]– الرواية، ص152.

[3]– الرواية، ص156.

وجرائمه، ويرجع ذلك كله الى والده الذي يعتبره السبب وراء تغيُّره من أحسن الى أسود من إنسان الى لا إنسان، يقول: " لقد تغيرت، لقد كان والدي هو السبب، لابد أن أجد لحياتي بعض مبرراتها، ولا شك أن كل ما حدث لي كان له جذر في ذلك الماضي الغائر في العتمة، والظلمة الشديدة"[1]، لكنّه يتراجع عن موقفه، ويرجع ذلك كله على ذاته، فهو وحده من اختار ذلك الطريق الغامض دون اجبار أو إكراه، وبذلك يبقى هذا البطل متردد بين ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه.

وفي الأخير نجد أن البطل رضا شاوش اختار الاستسلام لتلك الجماعة كقرار نهائي في مسار حياته، فخضع لهم خضوعًا تامًا لا رجعة فيه، وهذا الخضوع جعل من رضا يتحول من بشر الى مصاص دماء، فهو بدونهم لا يساوي شيئًا، مجرد حشرة يسحقونها متى أرادوا ذلك، حيث يصرح بذلك قائلا: " وقد اخترت هذا الطريق، خضعت لمن يشبهون والدي، أو أبشع منه، لقد فهمت حينها شيئا أساسيا وهو أن من يسير في هذا الطريق لابد أن يقبل في عميق أعماقه الخضوع لقوة أكبر منه، بل خضوعه هو طريقه".[2]

[1]- الرواية، ص157.

[2]- الرواية، ص158.

# خاتمة

**خاتمة:**

في ختام بحثنا هذا ما علينا الاّ أن نشكر الله عزّ وجل على فضله علينا لإتمام هذا البحث، والذي أمثر بجملة من النتائج أبرزها:

1- كان البطل في الأجناس الأدبية القديمة كالملاحم والأساطير والسير الشعبية ايجابيا في أغلب الأحيان، بينما في الرواية كجنس أدبي حديث تأرجح حضوره بين السلبية و الإيجابية .

2- تطغى على البطل الإشكالي صفة الشيطانية فهو شخص يعيش على حدود الانتماء و اللاّانتماء فانتماؤه إلى قيم الخير و الإنسانية يقابله لا انتماؤه إلى قيم مجتمعه المتخلف.

3- بطل هذه الرواية رضا شاوش هو بطل إشكالي ويظهر ذلك في كلامه وأفكاره.

4- لاحظنا أن البطل رضا شاوش لهو علاقة متوترة ببعض الأمكنة الموجودة في الرواية، حيث أن هناك أماكن كانت له ذكرى جميلة معها وأخرى كان يشعر بالغربة والاّ انتماء داخلها، وهنا يظهر التوتر والتردد واضح في شخصية "رضا"، و هذا مظهر آخر جعلنا نصنفه على أنّه بطل إشكالي.

5- يظهر التأزم والتمزق الموجود في شخصية رضا شاوش في علاقته بالشخصيات الأخرى التي كان غير متصالح معها في حياته، والتي جعلت منه شخصا سيئًا في

هذا الوجود، شخصًا لا يعرف الإنسانية ولا معناها، وهو مظهر آخر من مظاهر إشكاليته.

6- البطل رضا شاوش متردد بين ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه.

7- تميز كلام البطل رضا شاوش بالغموض والحزن، حيث يلوم الحياة على قسوتها عليه.

8- البطل رضا شاوش ليس لديه موقف في الحياة.

9- يحمل البطل قيمًا أصلية يحاول أن يثبتها في عالم منحط، لكنّه يفشل في ذلك، فيصبح بحثه منحطًا بدوره لا معنى له.

10- اختار البطل رضا شاوش، الاستسلام كقرار نهائي في مسار حياته.

11- لاحظنا أن البطل رضا شاوش سلبيٌ في تفكيره وقناعاته.

12- يعيش البطل رضا شاوش كمغترب في عالمه الذي يحيط به، فتصبح ذاته أيضًا غريبة عنه.

13- البطل رضا شاوش شخصية متأزمة تعيش مأزقًا مصيريًا، وهو ما جعلها تنحرف عن الطريق السوي.

أملنا أن نكون وفقنا في إضاءة ولو جانبًا بسيطًا من هذه الرواية، من خلال بحثنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المراجع والمصادر

### أولا: المصادر

1-بشير مفتي، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.

### ثانيا: المراجع

أ- **الكتب العربية:**

2-أحمد إبراهيم الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، دار المعارف، (د.ط)، 1979.

3-أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، ص1978.

4-أحمد شمس الدين الحجامي، مولد البطل في السيرة الشعبية، دار الهلال (د.ط)، 1991.

5-حميد الحمداني، بينة النص السردي منظور النقد الأدبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000.

6-حميد الحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية الى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنانن (د.ط)، 1990.

7-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

8-حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2001.

9-رفيق رضا صيداوي، النظرة الروائية الى الحرب اللبنانية 1975-1995، دار الغاربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

10- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1984.

11- المصطفى مويغن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار، سورية، ط1، 2005.

12- شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984.

13- محمود السمرة في النقد الأدبي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1974.

14- نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1988.

15- هاني العمد، ملامح الشخصية العربية في سيرة الأميرة ذات الهمة، الجامعة الأردنية، عمان، (د.ط)، 1988.

16- شكري غالي، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1970.

17- محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، (د.ط)، 1999.

18- محمد عزام، البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

19- محمد ابوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، اتحاد الكتاب الفلسطنيين، القدس، (د.ط)، 1997.

20- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

21- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

ب- **الكتب المترجمة:**

22- ألان روب جرييه، نحو رواية جديدة، تر مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

23- جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها، تر: تزيه الشوفي، دمشق، (د.ط)، 1975.

24- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

25- مجموعة من المؤلفين، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجاز، دار طالس للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 1985.

26- لوسيان غولدمانن مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودلي، دار الحداد، سورية، 1993.

27- ميخائيل باخشين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، م: حياة شرارة، دار نوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.

28- فلا ديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن ومسيرة، بن غموء، شراع الدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.

ج- **المعاجم:**

29- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

30- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

31- ابن منظور، معجم لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر،بيروت،لبنان، (د.ت).

د- **المجالات :**

32- اعتدال عثمانن، البطل المعضل، مجلة فصول، مجلد2، ع2، 1982.

33- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، ع13، جوان 2003، جامعة منتوري، قسنطينة.

# فهرس المحتويات


**مقدمة ..... أ-ج**

**فصل أول: البطل في الأدب..... 05-28**

**تمهيد ..... 05-06**

**1-تعريف البطل ..... 07-09**

**2- تصنيف البطل ..... 09-21**

**أ- البطل في الأساطير..... 10-13**

**ب- البطل في الملاحم..... 13-14**

**ج- البطل في السير الشعبية ..... 15-17**

**د- البطل في الرواية..... 18-21**

**3- دراسة البطل ..... 21-28**

**أ- البطل عند فلاديمير بروب ..... 24-24**

**ب- البطل عند غريماس..... 24-26**

**جـ- البطل عند باختين ..... 26-28**

**فصل ثانٍ: البطل الإشكالي في رواية "دمية النار"..... 29-57**

**ملخص الرواية.....29-31**

**1-رضا شاوش بطلاً إشكاليًا .....31-32**

**أ- علاقته بالمكان .....32-42**

**ب- علاقته بالشخصيات.....42-49**

**ج- كلامه وأفكاره.....49-57**

**خاتمة .....60-61**

**قائمة المصادر و المراجع**

**فهرس المحتويات**

**ملخص**

**ملخص:**

تحدثنا في بحثنا هذا عن "رضا شاوش" كبطل إشكالي في رواية " دمية النّار" لبشير منتي، حيث حاولنا أن نصف ونحلل شخصية البطل رضا شاوش من خلال إتباعنا للمنهج الوصفي، التحليلي، الذي كان مناسبًا لوصف شخصية هذا البطل وتحليل أفكاره وكلامه وعلاقته بالمكان وببقية الشخصيات الموجودة في الرواية.

وقد اخترنا هذا الموضوع لأن الرواية تعدّ أكثر الأجناس الأدبية تعبيرًا عن الإنسان بكل همومه، وهذا ما لاحظناه في رواية " دمية النار" بالتحديد بطلها رضا شاوش الذي اعتبر عن شريحة واسعة من المجتمع الجزائري من خلال أفكاره، وقناعاته وطموحاته.

ومن خلال دراستنا هذا توصنا الى نتائج أهمها:

أن بطل هذه الرواية (رضا شاوش) متوتر ومشوش ومضطرب نفسيًا، لأنّه يعيش مأزقًا مصيريًا جعل منه بطل سلبي في تفكيره ومعتقداته فهو متمرد بين ذاته وعالمه المنحط الذي يعيش فيه، حيث أن بحثه أيضا يصبح منحطا بدوره.

**Le résumé**

Nous avons parlé dans nos recherches sur le héros problématique« **Redah** Chaouache » dans le roman « **Poupée** Feu » du Bachir Mufti, où nous avons essayés de faire une description et d'analyse la personnalité du héros « **Redah** Chaouache » grâce à notre poursuite de l'approche du descriptive, analytique, ce qui était approprié pour décrire le caractère de ce héros et d'analyser ses pensées et ses paroles et sa relation par le lieu et le reste des personnages du roman.

Et on a choisi ce sujet parce que le roman est une expression la plus littéraire des races de l'homme avec toutes ses préoccupations et ce que nous avons observé dans le roman « **Poupée** feu » et spécifiquement son héros « **Redah** Chaouache », qui a exprimé un large éventail de la société algérienne à travers ses idées et ses convections et aspiration.

Grace à cette étude, nous avons atteint les résultats les plus importants :

Le héros de ce roman « **Redah** Chaouache »tendue et confuse et psychiquement instable parce qu'il vit dans fatidique dilemme qui a fait de lui un héros dans la pensée négative et les croyances, il hésite entre lui et son dégénérée monde dans lequel il vit que ses recherches devient également dégradée à son tour.

**Abstract**

In this research, we discussed "**Reda** Chaouche" as a problematic hero in the novel "the fire doll" by Bachir Mufti. We tried to analyze the personality of the hero "**Reda** Chaouche" by following the descriptive, analytical approach that was appropriate to describe the character of this hero and to analyze his ideas, the place and the rest of the characters in the novel

We have chosen this subject because the novel is the most literary genres expression of all human concerns, and this is what we have seen in the novel doll of fire and specifically its hero "**Reda** Chaouche", who expressed a wide segment of Algerian society through his ideas and convections and ambitions.

Through this study, we reached the following results:

The hero of this novel "**Reda** Chaouche" tense and confused and psychologically troubled because he lives a fateful race made him a negative hero in his thinking and his beliefs is hesitant between himself and the world of decadence in which he lives in that his research also becomes.